الميتافيزيقا

عند جوزايا رويس (١٨٥٥-١٩١٦م)

عرض وتحليل

الباحثة

د / إيمان عبد الحميد أحمد عبد الرحمن

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بسوهاج

جامعة الأزهر-مصر

الميتافيزيقا عند جوزايا رويس (١٨٥٥-١٩١٦م) عرض وتحليل

إيمان عبد الحميد أحمد عبد الرحمن
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج،
جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: emanabdelrahman.٣٥١٩@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلي دراسة الميتافيزيقا عند أحد فلاسفة العصر الحديث "جوزايا رويس١٨٥٥م – ١٩١٦م " عرض وتحليل ، وهو فليسوف أمريكي مثالي المذهب، وهو الميتافيزيقي الأمريكي الوحيد، إذ إن مهمة الفلسفة عنده كانت تركز علي البحث الميتافيزيقي في كيفية إثبات وجود الله، ومعرفة صفاته، وعلاقة الله بالعالم وموجوداته، وغيرها من المشاكل الميتافيزيقية. ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. جاء المبحث الأول بعنوان: "التعريف بجوزايا رويس"، وتناولت فيه مطلبين: المطلب الأول: نشأته ومؤلفاته. والمطلب الثاني: اتجاهاته الفلسفية. أما المبحث الثاني فهو بعنوان: "الميتافيزيقا عند جوزايا رويس"، وقد اشتمل على مطلبين: المطلب الأول: مفهوم الميتافيزيقا وموضوعها. والمطلب الثاني: الميتافيزيقا عند جوزايا رويس وعلاقتها بالمنطق. وأما المبحث الثالث فهو بعنوان: "قضايا الميتافيزيقا عند جوزايا رويس"، وقد تضمن أربعة مطالب: المطلب الأول: "المطلق" عند جوزايا رويس. والمطلب الثاني: ميتافيزيقا "المعرفة" عند جوزايا رويس، والمطلب الثالث: ميتافيزيقا "الوجود" عند جوزايا رويس، والمطلب الرابع: ميتافيزيقا "النفس" عند جوزايا رويس. وأما الخاتمة ففيها إجمال لما توصل إليه البحث من نتائج، وعدد من التوصيات المرجوة، وأخيرًا ثبت بالمراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية: الميتافيزيقا، جوزايا رويس، المطلق، المعرفة، الوجود، النفس.

Metaphysics of Josiah Royce (1855-1916 AD), presentation and analysis

Eman Abdel Hamid Ahmed Abdel Rahman
Department of Doctrine and Philosophy, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag, Al-Azhar University, Egypt.
Email: emanabdelrahman.3519@azhar.edu.eg

Abstract

This research aims to study the metaphysics of one of the philosophers of the modern era, "Josiah Royce 1855 AD – 1916 AD" presentation and analysis. And God's relationship with the world and its assets, and other metaphysical problems. The research consists of an introduction, three topics and a conclusion. The first topic came under the title: "Introducing Josiah Royce", in which I dealt with two requirements: The first topic: his upbringing and his writings. The second requirement: his philosophical trends. As for the second topic, it is entitled: "Metaphysics according to Josiah Royce", and it included two requirements: The first requirement: the concept of metaphysics and its subject. The second requirement: Josiah Royce's metaphysics and its relationship to logic. As for the third topic, it is entitled: "Issues of Metaphysics according to Josiah Royce", and it includes four demands: The first requirement: "The Absolute" according to Josiah Royce. The second requirement: the metaphysics of "knowledge" according to Josiah Royce, and the third requirement: the metaphysics of "existence" according to Josiah Royce. And the fourth requirement: the metaphysics of the "self" according to Josiah Royce. As for the conclusion, it contains a summary of the findings of the research, and a number of desired recommendations, and finally it is proven by references and sources.

Keywords :Metaphysics, Josiah Royce, the Absolute, knowledge, existence, self.

المقـــــدمـــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد،،

فلقد مَنّ الله تعالي علي الإنسان بنعمة العقل الذي هو أداة التفكير والفهم العقلي، وإن كانت الفلسفة تعني الفكر والتأمل العقلي، فإن كل إنسان يفكر يجد نفسه بسهولة شديدة في قلب الميتافيزيقا عندما يسأل نفسه ماذا أكون؟ ومن أنا؟ ولماذا أنا هنا؟ وكيف جئت إلى هذا الوجود؟ وما هو مستقبلي فيه؟.....إلخ، إن الميتافيزيقا في الحقيقة هي سعي العقل الإنساني لتجاوز عالم الحس والتحليق عاليًا صوب عالم معقول حيث المبادئ الثابتة والحقائق الخالدة، ولذلك احتلت الميتافيزيقا أهمية بالغة في تاريخ الفكر الفلسفي بل نستطيع أن نقول إن الميتافيزيقا هي لب الفلسفة وعمودها الفقري، قد تعددت اتجاهات الفلاسفة إزاءها علي مر العصور بين القبول تأييدًا والرفض نقدًا ونقضًا.

وعلى الرغم من محاولات الرفض والاستبعاد للميتافيزيقا وعلي الأخص منذ مطلع العصر الحديث، حيث التقدم العلم الطبيعي القائم علي التجربة والملاحظة إلا أن تلك المحاولات لم تهدم الميتافيزيقا ولم تقض عليها، فهناك فلسفات حديثة قامت علي أسس ميتافيزيقية، من بينها الفلسفة الأمريكية، حيث كان لفلاسفة أمريكا في العصر الحديث نصيبًا في بحث المسائل الفلسفية بحثًا ميتافيزيقيًا وخاصة عند الفيلسوف الأمريكي جوزايا رويس " Josia" Royce الذي كانت مهمة الفلسفة عنده تركز علي البحث الميتافيزيقي في

كيفية إثبات وجود الله، ومعرفة صفاته، وعلاقة الله بالعالم وموجوداته، وماهية النفس الإنسانية وحريتها وخلودها وغير ذلك من المشاكل الميتافيزيقية.

أسباب اختياري لموضوع البحث:

من الأسباب التي دفعتني إلى كتابة هذا البحث:

١- ضرورة الميتافيزيقا وحاجتنا إليها في جميع التجارب الدينية والأخلاقية والتجارب النفسية التي تشكل أساس كل التجارب.

٢-إلقاء الضوء علي الفكر الميتافيزيقي في الفلسفة الأمريكية في العصر الحديث.

٣-أهمية الفيلسوف جوزايا رويس حيث إنه من أبرز الميتافيزيقيين في العصر الحديث.

٤-الدور البارز للميتافيزيقا في فلسفة جوزايا رويس.

٥-عدم وجود دراسة خاصة ومستقلة تناولت القضايا الميتافيزيقية عند جوزايا رويس.

أما منهجي في البحث:

فقد سلكت منهجًا في البحث يتلخص في الآتي:

المنهج الوصفي الذي يهتم بسرد الآراء من كتب أصحابها، والمنهج التحليلي فيما يتعلق بالتحليل، أو التعقيب علي الآراء التي يتعرض البحث لدراستها، والمنهج النقدي فيما يتعلق بنقد الآراء التي تحتاج إلى النقد نقدًا علميًا صحيحًا.

خطتي في البحث:

اقتضـــت طبيعة البحث أن أقسمـــه إلى: مقدمـــة، وثلاثة مباحث، وخاتمة،

وثبت بالمصادروالمراجع.

أما المقدمة: ففي أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له ومنهجي، وخطتي فيه.

وأما المبحث الأول: " التعريف بجوزايا رويس"، ففيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأته ومؤلفاته.

والمطلب الثاني: اتجاهاته الفلسفية.

وأما المبحث الثاني: "الميتافيزيقا عند جوزايا رويس"، ويشتمل علي مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الميتافيزيقا وموضوعها.

والمطلب الثاني: الميتافيزيقا عند جوزايا رويس وعلاقتها بالمنطق.

وأما المبحث الثالث: "قضايا الميتافيزيقا عند جوزايا رويس"، فهو يتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول:" المطلق" عند جوزايا رويس.

المطلب الثاني: ميتافيزيقا "المعرفة" عند جوزايا رويس.

المطلب الثالث:. ميتافيزيقا "الوجود" عند جوزايا رويس.

المطلب الرابع: ميتافيزيقا "النفس" عند جوزايا رويس.

أما الخاتمة: ففيها إجمال لما توصل إليه البحث من نتائج، وعدد من التوصيات المرجوة.

وأخيرًا ثبت بالمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وبعد وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلي الله وسلم علي سيدنا محمد ﷺ .

الباحثة

المبحث الأول
التعريف بجوزايا رويس "Josia Royce" ١٨٥٥م-١٩١٦م

المطلب الأول: نشأته ومؤلفاته

أولًا: نشأته: هو فليسوف أمريكي هيجيلي النزعة مثالي[١] المذهب، وهو الميتافيزيقي[٢] الأمريكي الوحيد [٣]. ولد "جوزايا رويس" سنة ١٨٥٥م في مدينة سيرا نيفادا، بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وهو ابن لوالدين انجليزيين، رحل إلى القارة الأمريكية أثناء التهافت علي الذهب سنة ١٨٤٩م[٤].

---

(١) المثالي: هو النموذجي، ويقال في مقابل الواقعي ، والمثالي نظري ومتخيل، والواقعي هو الحسي، والمثالي لا يرتبط بزمان ومكان، والواقعي بخلافه، ويطلق المثالي على الفيلسوف الذي يجعل المثالية مذهبه في بحثه عن علاقة الفكر بالوجود الحقيقي. ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، لعبد المنعم الحفني ، ص٧٣٩ ، ط: مكتبة مدبولي، ط الثالثة سنة٢٠٠٠م القاهرة ، والمعجم الفلسفي ، لجميل صليبا ،٢ / ٣٣٧ ، ط: دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، سنة ١٩٨٢م .

(٢)الميتافيزيقي: هو المتعلق بحقائق الأمور، المتجاوز لمظاهرها الحسية؛ وهو المتعلق بجملة الشيء والمتجاوز لمعطياته الجزئية، وبمعناه العام هو العميق المجرد الذي لا يمكن التثبت من صحته. ينظر: معجم الفلسفة" أهم المصطلحات وأشهر الأعلام" ، لمحمود يعقوبي ، ص١٥٦، ط: الميزان، الجزائر، ط الثانية، د ت .

(٣) الموسوعة الفلسفية ، لعبد الرحمن بدوي ، ١/ ٥٤٤ ، ط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط الأولى سنة ١٩٨٤م .

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة ، لوليم كلي رايت، ترجمة : محمود سيد أحمد، ص٤٦٢، ط: بيروت، ط الأولى سنة ٢٠١٠ م.

وفي حديث" لجوزايا رويس" نشر في المجلة الفلسفية في فيلادلفيا عام ١٩١٦م، يجيب عن سؤال حول نشأته فيقول: " ولدت في مدينة تكبرني بخمس أو ست سنوات ويعمل سكانها في التنقيب في المناجم وما زلت أفكر في وصف والدي لها، بأنها مجتمع جديد، كنت انظر للآثار الخاصة للمنقبين وجذوع الأشجار الضخمة المقطوعة هناك ومقابر عمال المناجم، وأحدث نفسي قائلًا، من الواضح أنه كان هناك أناس، عاشوا وماتوا هنا. فالجذوع والأشجار تؤكد قدم المكان، والازدهار والنضرة المنتشرة في كل أرجائه تعد دليلًا علي محبتهم وإخلاصهم له، فأين الجدة في هذا المكان؟ ولماذا يوصف بالبكارة؟ لقد بدأت أشعر بأن مهمتي في الحياة مكرسة للبحث عن معنى هذا التساؤل، ووضع إجابة له." وحديث جوزايا رويس هذا يوضح لنا بداية تكوين تفكيره الفلسفي منذ الصغر.

وقد درس "جوزايا رويس" الفلسفة وسمع قراءة الإنجيل من والدته وفن الجدل من إحدى أخواته البنات التي كانت تكبره بثلاث سنوات. كما كان عنيدًا ويميل إلى التمرد وتأثر بنتائج الحرب الأهلية الأمريكية التي لم يحضرها ولكن قرأ عنها، ومنذ ذلك الوقت بدأ اهتمامه بالوطن يصاحب اهتمامه بالدين(١).

أما عن مراحل تعليمه فقد انتقل "جوزايا رويس" في بداية عام ١٨٦٦م إلى الدراسة في إحدى المدارس الخاصة في سان فرانسيسكو، وشعر في أول مرة في حياته بمدى سلطة المجتمع علي الفرد، بسبب ما عاناه من ندرة الأصدقاء ، ولعدم معرفته لألعابهم، فكون انطباعًا كئيبًا عن المجتمع أشار

---

(١)الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس، ترجمة :أحمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، ص٥ (المقدمة)، ط :القاهرة سنة ٢٠٠٩م .

إليه في كتابه " مشكلات المسيحية" عند مناقشته لمذهب "بولس" عن الخطيئة الأولى، في الفصل السابع من رسالته للرومان[١]. ولعل ذلك مما يوضح لنا مدى أثر حياته والمجتمع علي فلسفته فيما بعد.

وبالنسبة لدراسته الجامعية فقد دخل جوزايا رويس جامعة كاليفورنيا في سنة ١٨٧١م، وحصل علي البكالوريوس.B.A. سنة١٨٧٥م. وكان قد كتب بحثًا عن اللاهوت في مسرحية "بروميثيوس مقيدًا" تأليف اسخولوس نال به منحة من المال مكنته من تقضية عامين في ألمانيا، حيث راح يقرأ للفلاسفة الألمان وخصوصًا شلنج Schelling[٢] وشوبنهورSchopenhauer[٣]، والتحق بجامعة " جيتنجن" في ألمانيا حيث

---

(١) المصدر السابق ، لجوزايا رويس ، ص٥(المقدمة).

(٢) شلينغ: فريدرتش فلهلم جوزف فون (Schelling , friedrich wllhelm) Joseph Von فليسوف ألماني ولد في ليونبرغ في سنة ١٧٧٥م ومات في سويسرا سنة ١٨٥٤م ، كان من زملائه واصدقائه هيجل وهولدرلن ، ودراسته لفيشته هي التي حسمت أمر دعوته الفلسفية، ومن مؤلفاته إمكان صورة للفلسفة، الأنا كمبدأ للفلسفة، ونفس العالم، وقد وقع في أول الأمر مثله مثل جيله كله تحت تأثير المثالية الكانطية. ينظر : معجم الفلاسفة(الفلاسفة- المناطقة – المتكلمون-اللاهوتيون-المتصوفة)، لجورج طرابيشي ، ص ٣٩٩ – ٤٠١ ، ط: دار طليعة بيروت، ط الثالثة ٢٠٠٦م .

(٣) شوبنهور، آرثر: (١٧٨٨-١٨٦٠م) ميتافيزيقي ألماني، ولد في دانزج، اشتهر بمقالاته اللاذعة وبكتابه الرئيس" العالم إرادة وفكرة"، وهو أول فيلسوف أوربي كبير اتخذ من الإلحاد موضوعًا، وهو أول فيلسوف أوربي كبير استرعي انتباه الناس إلى الأوبانيشاد والبوذية وتأثر بهما تأثيرًا عميقًا . ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ، لجوناثان ري- وج. أو. أرمسون ، ترجمة: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق محمودي، مراجعة وإشراف: زكي نجيب محمود، ص١٩٥، ص١٩٦ ، ط :المركز القومي للترجمة القاهرة، ط الأولى سنة ٢٠١٣م.

درس علي يد الفليسوف " لوتسه"Lotze[١].

وعندما عاد "جوزايا رويس" إلى الولايات المتحدة سجل في جامعة جون هوبنكز، في " بالتيمور" أطروحته للدكتوراه "حول ترابط مبادئ المعرفة" سنة ١٨٧٨م، وهناك تعرف علي "وليم جيمس"[٢] و"تشارلز بيرس"[٣]، وكان

---

(١) الموسوعة الفلسفية ، لعبد الرحمن بدوي ، ١/ ٥٤٤ وينظر : موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم الحفني: ٦٧١/١ ، ط :مكتبة مدبولي القاهرة، ط الثالثة سنة ٢٠١٠م.؛ (لوتسه) رودولف هيرمانLotze,Rudolf Hermann (١٨١٧-١٨٨١م) فيلسوف ألماني، كان أستاذًا بجامعة غونتجين، وفي فلسفة لوتسة توفيق بين المادية والمثالية تسود فيه المثالية، أشهر كتبه" العالم الصغير" . ينظر: الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، م.روزنتال - ب. يودين، ترجمة: سمير كرم ، مراجعة: صادق جلال العظم، جورج طرابيشي ، ص٤١٣ ، ط : دار طليعة، بيروت، ط سنة ١٩٨٤م .

(٢) وليم جيمس:(james ١٨٤٢-١٩١٠م) فيلسوف وعالم نفس أمريكي، تعلم في جامعة هارفارد، وعين أستاذًا لعلمي الفسيولوجيا والتشريح ثم لعلم النفس بها، ويعد من أكبر علماء النفس ومن واضعي دعائمه العلمية في العصر الحديث، كما يعد جيمس واضع أساس المذهب الفلسفي الجديد المعروف باسم " براغماتزم" . ينظر: فلسفة المحدثين والمعاصرين ، ا.وولف ترجمة :أبو العلا عفيفي، ص ١٦١" تعليق المترجم"، ط :القاهرة سنة ١٩٣٦م.

(٣) تشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders peirce):ولد في مدينة كيمبردج بولاية مساشوستس الأمريكية عام ١٨٣٩م، ودرس الفلسفة والمنطق والرياضيات والعلوم بجامعة هارفارد، وهو واحد من أعظم فلاسفة القرن التاسع عشر، واتجه إلى الفلسفة عن طريق قراءته للفيلسوف الأمريكي شيلر، كما اتصل بمعظم زعماء الفكر الأمريكيين في زمنه ومن بينهم جيمس، رايت، هولمز، وكانت الصورة الأخيرة التي تطور إليها تفكير بيرس منذ عام ١٨٧٠م (الفلسفة البراجماتية) وتوفي عام ١٩١٤م. ينظر: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، لفؤاد كامل ،ص٩٥، ٩٦، ط دار الجيل بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

يستمع إلى " وليم جيمس" وهو يلقي بعض المحاضرات، وقد استهل نشاطه التعليمي بإعطاء دروس في الأدب الإنجليزي في جامعة كاليفورنيا، وفي عام ١٨٨٥م عين أستاذ الفلسفة مساعد في جامعة هارفاد، ثم أستاذًا بكرسي في عام ١٨٩٢م، وكان ينوب أحيانًا عن "وليم جيمس" في كرسي علم النفس، ولم يشغل كرسي الأخلاق، خلفًا لجورج "هربرت بالمر"، إلا في عام ١٩١٤م، وتوفي "جوزايا رويس" في ولاية ماساشوستس سنة ١٩١٦م(١).

ثانيًا: مؤلفاته:

كان "جوزايا رويس" فيلسوف غزير الإنتاج، فقد ترك مؤلفات عدة ضمنها فلسفته، وأغلب كتاباته الفلسفية هي في الأصل مجموعات من دروس ومحاضرات. فكما كان وليم جيمس محاضرًا بارعًا، كان رويس محاضرًا أيضًا، حتي قيل عنه أنه كان قد وجد " أن إعطاء المحاضرات هي الطريقة الأسهل ليتنفس"(٢).

وكتب "جوزايا رويس" مؤلفاته بأسلوب دعا "سانتيانا"(٣) إلى أن يصفها بأنها" كالنهر إبان فيضانها"، ولقد سلم حتي "سانتيانا" نفسه بأن "بعض المبادئ

---

(١)معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي ، ص٣٣٤.

(٢)الفلسفة الأميركية ، لجيرار ديلو دال ، ترجمة جورج كتورة، إلهام الشعراني، ص٢٥٣ ، ط :المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط الأولى سنة ٢٠٠٩م .

(٣) جورج سانتيانا (G.Santayana): فيلسوف وكاتب أمريكي من أنصار الواقعية النقدية،، ولد في مدريد سنة ١٨٦٣م، ثم ذهب إلى أمريكا عام ١٨٧٢م، وتعلم في جامعة هارفارد وعين مدرسًا فيها، وهو أكبر شاعر فيلسوف في أمريكا، وفلسفته هي فلسفة الشعر والجمال والدين، مؤلفه الرئيس " حياة العقل" . ينظر: الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، إشراف : م. روزنتال – ب .يودين ، ص ٢٥٠، ٢٥١ ، وينظر : فلسفة المحدثين والمعاصرين ، ا. وولف: ترجمة أبوالعلا عفيفي، ص٢١١، ٢١٢ " تعليق المترجم".

الواضحة والممكنات الأولية قد طفت....تارة تظهر وجهًا وتارة تظهر وجهًا آخر كأنها شظايا الخشب الطافية على النهر إبان فيضانه"[١]. ومن مؤلفات "جوزايا رويس" التي ألفها طيلة حياته الفلسفية:

١- أهمية التحليل المنطقي عام ١٨٨١م.
٢- الجانب الديني للفلسفة عام ١٨٨٥م.
٣- دراسة للشخصية الأمريكية عام ١٨٨٦م.
٤- روح الفلسفة الحديثة عام ١٨٩٢م.
٥- مفهوم الله عام ١٨٩٧م.
٦- دراسات في الخير والشر عام ١٨٩٨م.
٧- العالم والفرد عام ١٩٠٠-١٩٠٢م جزآن.
٨- مفهوم الخلود عام ١٩٠٠م.
٩- الوضع الحالي لمشكلة الدين الطبيعي عام ١٩٠١- ١٩٠٢م.
١٠- مدخل إلى علم النفس عام ١٩٠٣م.
١١- هربرت سبنسر "تقويم ومراجعة" عام ١٩٠٤م
١٢- علاقة مبادئ المنطق بأسس الهندسة عام ١٩٠٥م.
١٣- فلسفة الولاء عام ١٩٠٨م.
١٤- مشكلات الجيل ومشكلات أمريكية عام ١٩٠٩م.
١٥- وليم جيمس، ومقولات أخرى عن فلسفة الحياة عام ١٩١١م.
١٦- مصادر البصيرة الدينية عام ١٩١٢م.
١٧- مبادئ المنطق عام ١٩١٢م.

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ، لجوناثـــان ري- وج. أو. أرمســـون، ص١٧٠، ١٧١.

١٨- مشكلة المسيحية عام ١٩١٣م جزآن.

١٩- الحرب والتأمين عام ١٩١٤م.

وإلي جانب هذه المؤلفات توجد الكثير من المقالات التي قام "جوزايا رويس" بنشرها في أعداد من المجلة الفلسفية الأمريكية، وبعض المؤلفات التي قام بالإسهام فيها ومراجعاتها(١). وتدل مؤلفاته هذه التي ألفها طيلة سنوات عمره علي سعة اطلاعه، ونبوغه وتنوع معارفه الفلسفية.

كما يتبين لنا من خلال هذه المؤلفات أن اهتمامات "رويس" قد توزعت حول علوم الميتافيزيقا والأخلاق والمنطق وفلسفة الدين وبدرجة أقل علم النفس والفلسفة الاجتماعية والسياسية(٢).

وكانت طريقة "جوزايا رويس" في عرض فلسفته في كتبه، وربما في تدريسه، هي تكرار الموضوع مرة ومرة مع أمثلة توضيحية مختلفة، حتي يفهمها كل قارئ، ولذلك كانت أعماله مسهبة ومكررة، مع أن أسلوبه الأدبي كان ممتازاً ومتألقًا في الغالب (٣).

ويعتبر نتاج "جوزايا رويس" واحدًا من أجرأ المحاولات التي بذلت منذ نصف قرن من الزمن، بغية إعطاء المسائل الميتافيزيقية الجوهرية حلًا

---

(١) الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس ، ترجمة: أحمد الأنصاري، ص ٦ (المقدمة) ، وينظر :الموسوعة الفلسفية ، لعبد الرحمن بدوي: ١/ ٥٤٧.

(٢)معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيتين إلى ما بعد الحداثيين ، للشريف طوطاو ، اشراف: على عبود المحمداوي، تقديم : محمد الشيخ، ص١٢٢ ، ط :مكتبة مؤمن قريش، لبنان ط الأولى سنة ٢٠١٥م .

(٣)تاريخ الفلسفة الحديثة ، لوليم كلي رايت ، ص٤٦٣.

يتخطى الحدود الضيقة للمذهب العقلي أو للذرائعية[١] أو لفلسفة الحدس[٢].

وأخيرًا يمكن القول إن "جوزايا رويس" كان بحق الفيلسوف الأمريكي الميتافيزيقي الأكثر تألقًا، ووصف بأنه " متجذر في الحياة الأمريكية أعار فلسفته الي صناع يتبعون الموضة الأوربية القارية " [٣].

* * * * * * * * * *

(١) الذرائعية: هي الوسيلة والسبب إلى الشيء، وجمعها ذرائع، وتطلق الذرائعية على فلسفة حنا ديوي ١٨٥٩- ١٩٥٢م وهي فلسفة براجماتية تقرر أن الأفكار والنظريات والمعارف والنتائج والغايات أدوات أو وسائل أو ذرائع لبلوغ أهداف جديدة، ولتوضيح وتعديل المعايير والغايات في ضوء الخبرات المتراكمة للفرد والمجتمع . ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، لعبد المنعم الحفني ، ص٣٦٧ .

(٢) معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي ، ص٣٣٤ . فلسفة الحدس: هي فلسفة ظهرت في القرن العشرين، على يد "هنري برجسون "على أساس أنها رد فعل على الفلسفات المهيمنة في القرن التاسع عشر الميلادي، ولاسيما المثالية(التي كانت تناصر العقل) من جهة، والفلسفة الوضعية (التي كانت تدافع عن العلم الوضعي والتجريبي) من جهة أخرى، وقد جاء برغسون بمفهوم الديمومة، وقدم نظريته في التطور، ويرى "هنري برغسون" أن الحدس ملكة تفوق طاقة العقل، وبه ندرك الأشياء الجوانية والروحية العميقة، وهو نوع من التعاطف والمشاركة الوجدانية والعاطفية مع الأشياء والموجودات. ويتجاوز الحدس اللغة والحواس والعقل، باستخدام طاقة عرفانية مباشرة من أجل النفاذ إلى صميم الأشياء والكائنات، فالحدس هي ملكة وجدانية وذوقية خارقة. ينظر: الفلسفة الحدسية عند هنري برغسون لجميل حمداوي، ص٦،٥، ٢٦، ط :دار الريف للطبع والنشر، المملكة المغربية، ط الأولى سنة٢٠١٩م.

(٣)الفلسفة الأميركية ، لجيرار ديلو دال، ص ٢٤٩.

المطلب الثاني: اتجاهاته الفلسفية

كانت فلسفة "جوزايا رويس" ذات صلة وطيدة بالتطورات الفلسفية التي شهدتها أوربا في المرحلة الانتقالية بين القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد ظهرت "الهيجلية الجديدة"[١] في النصف الأول من القرن العشرين، بوصفها رد فعل على "الوضعية"[٢]. وبدأ تيار إحياء "الهيجلية الجديدة" في أسكوتلندا

---

(١) الهيجلية الجديدة: تيار فلسفي مثالي ظهر في انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كرد فعل للمادية التاريخية طبيعية والوضعية، وللدفاع عن الدين والفلسفة التأملية (غرين، برادلي، رويس، ماكتجارت وغيرهم)، ومع بداية القرن الحالي سارت الهيجلية الجديدة في تيار معاد للماركسية وانتشر هذا التيار في إيطاليا (كروتشة وجنتيله) وفي روسيا (أي البين وآخرون) وفي هولندا (ج. بولاند) وبرزت الهيجلية الجديدة الألمانية عشية وعقب الحرب العالمية الأولى. وبعد الحرب العالمية الثانية انتشرت الهيجلية الجديدة في فرنسا . ينظر: الموسوعة الفلسفية ،وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين ، م.روزنتال – ب.يودين ، ص ٥٦٨.

(٢) الوضعية: تيار من المثالية الذاتية واسع الانتشار في الفلسفة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ينكر أن الفلسفة نظرة شاملة للعالم، ويرفض المشكلات التقليدية للفلسفة(علاقة الوعي بالوجود، الخ) باعتبارها "ميتافيزيقية" وغير قابلة للتحقق من صحتها بالتجربة، وقد أسس أوجست كونت المذهب الوضعي الذي يقرر أن الفكر الإنساني لا يدرك سوي الظواهر الواقعية المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية، وأنه يجب من ثمة العدول عن كل بحث في العلل والغايات. ينظر: المرجع السابق ، م. روزنتال – ب.يودين: ، ص ٥٨٢، ٥٨٣، و المعجم الفلسفي ، لمراد وهبة ، ص ٦٨٥ ، ط: دار قباء الحديثة، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

وإنجلترا ثم امتد إلى أمريكا حيث ظهرت الهيجلية الجديدة عند "جوزايا رويس" الذي صاغ فلسفة مثالية مطلقة(١).

والتعبير الأول لمثالية "جوزايا رويس" المطلقة هي الترجمة بعبارات ما ورائية لاعتقاد رويس بكل أزلي، مطلق(٢) إلهي، حيث سنكون نحن الأجزاء. وقد تلقى جوزايا رويس هذا الاعتقاد من أمه والتي بالنسبة لها كان يعني:

---

(١) مقدمة في الاستغراب ، لحسن حنفي ، ص ٣٦٨، ٣٧٣، ط :الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م. ؛ المثالية: يطلق اسم المثالية بوجه عام على النزعة الفلسفية التي تقوم على رد كل وجود الي الفكر بأوسع معانيه، وهي بهذا المعني مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر أن هناك وجود مستقلًا عن الفكر، وأول من أستعمل لفظ المثالية في اللغة الفلسفية فلاسفة القرن السابع عشر ولاسيما (ليبنتز) الذي جعل المثالي مقابلًا للمادي، ويطلق اسم المثالية أيضًا على فلسفة فيخته وتسمي بالمثالية الذاتية، وعلي فلسفة شلينغ وتسمي بالمثالية الموضوعية، وعلي مذهب هيجل وتسمي بالمثالية المطلقة وهي: أن الفكر لا يدرك طبيعة ولكنه يدرك تصوراته عنها، وأن ما يحدث في هذا الفكر، أو الأنا المدرك، أو التجريبي، هو شيء يخصه ولا يفسره نظام الأسباب والعلل، وأن المكان والزمان والمقولات ليست مجرد حقائق لابد أن يسلم بها الأنا المدرك، ولكنها الآثار التي تدرك بها فاعلية أنا، أكبر من الأنا المتناهي، هو الأنا اللامتناهي أو المطلق، والمطلق هو المبدأ الأول في الفلسفة، ولذلك كل فلسفة أصيلة هي فلسفة مثالية . ينظر: المعجم الفلسفي، لجميل صليبا ٢/ ٣٣٩-٣٣٧، والمعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، لعبد المنعم الحفني ، ص ٧٤٠ .

(٢) المطلق: في اللاتينية هو الكامل، المكتمل، والمعني المطلق هو المعني الأشمل للفظٍ ما، والمطلق في المصطلحات الميتافيزيقية هو ما لا يكون نسبيًا، ما ليس فيه عرض، هو في الفكر كما في الواقع، ما لا يتعلق بأي شيء آخر ؛ ويحمل في ذاته علة وجوده. ينظر: موسوعة لا لا ند الفلسفية ، لأندريه لا لاند: ، تعريب: خليل أحمد خليل، ١ / ٤ – ٦ ، ط :عويدات بيروت، ط الثانية سنة ٢٠٠١م .

جماعة مسيحية، جسم متزهد للمسيح وحيث الناس هم الأعضاء، ويبرهن جوزايا رويس علي حقيقة هذا المطلق في كتابه " الجانب الديني للفلسفة" [١].

كما إن مثالية "رويس" هي مثالية أمريكية الطابع، حيث اصطبغت بالبيئة الفكرية والاجتماعية الأمريكية، ولعل هذا يظهر في محاولته التوفيق أو الجمع بين "المثالية" و"البراجماتية"[٢] هذه الأخيرة التي تمثل روح الثقافة الأمريكية، وقد أسفر هذا التوفيق عن مذهب جديد هو ما يصطلح عليه رويس "بالمثالية البراجماتية"[٣] أو "البراجماتية المطلقة"[٤]. وهذا يعني أن جوزايا رويس استطاع أن يمزج بين الفكر والعقلانية، والخبرة والممارسة. يقول "رويس": "إن موقف المثالية الحديثة الثابت والواضح، وجود علاقات عضوية بين العالـــم الباطني والعالم الخارجي، فإن كان أحدهما عالم المفكر

---

(١)الفلسفة الأمريكية ، لجيرار ديلودال ، ص ٢٥٦.

(٢) البراجماتية: هي من اللفظ اليوناني Pragma أي العمل، فهي الفلســفة العمليــة وتجعل من العمل مبدأ مطلقًا ويؤرخ لظهور البراجماتيــة بمحاضــرة ولــيم جــيمس " المفاهيم الفلسفية والنتائج العملية" ١٨٩٨م، ويلخصها جميس حيث يقول أن تصــورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من نتــائج عمليــة لا أكثــر، وتدرس الفلسفة العملية الواقع لا المجرد، ويهتم الفيلسوف العملــي بالمــدرك ولــيس بالمقصور، أي أنه يهتم بالأشياء ولا يحلق فــي فضــاء، والبراجماتيكيــة اســم آخــر للبراجماتية قال به تشارلز جيمس . ينظر : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، لعبــد المنعم الحفني ، ص١٥٠، ١٥١.

(٣) معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيتين إلى ما بعد الحداثيين ، للشريف طوطاو، ص١٢٣.

(٤) البراجماتية المطلقة: هي فلسفة جوزايا رويس الدينية، وتقول إن الفكرة ينبغي أن تتطابق مع الموضوع . ينظر : المرجع السابق ، لعبد المنعم الحفني، ص ١٥٠.

فالثاني موضوع فكره"[١].

وقد نشأت مثالية "جوزايا رويس" تحت تأثير المثالية الألمانية عمومًا ومثالية "هيجل"[٢] المطلقة بصورة خاصة، حيث يصنف في خانة "الهيجليين الجدد"، ويعترف رويس بفضل الفلسفة المثالية عليه، بدءًا بالمثالية الألمانية ممثلة في فلسفات "كانط"[٣]و"فشته"[٤] و"هيجل" و"شلنج" و"شوبنهور"، مرورًا

---

(١) روح الفلسفة الحديثة، لجوزايا رويس ، ترجمة : أحمد الأنصاري ، ص ٣٧٦، ط :المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، سنة ٢٠٠٣م.

(٢) هيجل(جورج وليام فريدريك) Geor wllhelm friedrich Hegel (١٧٧٠-١٨٣١م) من الفلاسفة الكلاسيكيين الألمان، مثالي موضوعي، ولد بشتوتجرت، وزامل شيللنج وهولدرلن بجامعة توبنجن، وهو من أعظم الفلاسفة تأثيرًا في تاريخ الفلسفة، ولم يعرف تاريخ الفلسفة فيلسوفًا بعد أفلاطون وأرسطو له هذه المكانة الرفيعة والسدة العالية مثل هيجل، وأهم كتبه "فينومينولوجية العقل"، و"علم المنطق" و"مبادئ فلسفة الحق"، و"محاضرات في تاريخ الفلسفة"، و"محاضرات في علم الجمال". ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، لعبد المنعم الحفني ، ١٤٩٦/٢، ط :مكتبة مدبولي القاهرة، ط الثالثة سنة٢٠١٠م، و الموسوعة الفلسفية ، م. روزنتال- ب. يودين، ص٥٦٦، ٥٦٨.

(٣)كانط(ايمانويل) Kant, Immanuel (١٧٢٤-١٨٠٤م)فيلسوف وعالم ألماني، مؤسس المثالية الكلاسيكية الألمانية ولد وتعلم وعمل في كونيجسبرغ حيث عمل محاضرًا ثم أستاذًا في الجامعة، وهو مؤسس المثالية " النقدية" أو" المتعالية"، ويعد كانت من أهم فلاسفة العصر الحديث، وطرح كانط منظورًا جديدًا في الفلسفة الأروبية امتد حتي الآن، ونشر أعمالا مهمة أساسية عن نظرية المعرفة وعن القانون والتاريخ ومن أهم أعماله: " نقد العقل النظري"، و"نقد العقل العملي"، و"نقد ملكة الحكم"، و" تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" . ينظر: المرجع السابق، م.روزنتال – ب.يودين ، ص٣٨٧، و الموسوعة الفلسفية المختصرة، لجوناثان ري- وج. أو. أرمسون ، ص٢٤٥ .

(٤) فيخته، يوهان غوتليب Fichte,Johann Gottlieb(١٧٦٢-١٨١٤م) فيلسوف ألماني، زعيم المثالية الكلاسيكية الألمانية بعد كانط، كان أستاذًا بجامعة بينا (فصل=

بالمثالية الجديدة ممثلة في تيار "الكانطيين الجدد"[١] في ألمانيا و"الهيجليين الجدد" في كل من إنجلترا وأمريكا؛ إذ يقول: "وحقيقة يشعر الكاتب في أعماقه بأن ما يعرضه، ما هو إلا نتاج قراءته لتاريخ الفلسفة وما يتذكره من هذا التاريخ، ولكنه يدين "لكانط"، ويقدر ما اكتسبه من قراءة "فشته"، والكانتيين الجدد في ألمانيا، ومن قاموا بإحياء المثالية في السنوات الأخيرة في كل من إنجلترا وأمريكا، ويعترف أيضًا بأن عليه دينًا خاصًا "لهيجل"[٢].

وفي الوقت نفسه نجد أن "جوزايا رويس" لا ينفي ما يتميز به مذهبه الفلسفي من أصالة واستقلالية وخصوصية مميزة عن المذاهب المثالية الأخرى، وهو ما يؤكده في قوله: "قد يكتشف القارئ المتخصص احتواء هذا

=منها بتهمة الإلحاد) وبجامعة برلين، وتكمن المثالية الذاتية في كتابة " النظرية العلمية" .ينظر:المرجع السابق، روزنتال – يودين، ص٣٦١.

(١) الكانطية الجديدة: تيار مثالي ظهر في ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحت شعار "العودة إلى كانط" أو(ليبمان وف لانغ) كما انتشر هذا التيار في فرنسا (ش رينوفييه وآملين) وإيطاليا (س كانتوني وتوكو) وروسيا(فيدنسكي وتشلبانوف) والكانطية الجديدة تعاود تقديم وتطوير العناصر المثالية والميتافيزيقية في فلسفة كانط متجاهلة عناصرها المادية والجدلية، والكانطية الجديدة عرفت العديد من المدارس والمدارس الفرعية، وهناك اثنتان منهما فقط عرفتا على نطاق واسع، لاستمراريتهما وتأثيرهما" مدرسة بادن أو هايدلبيرغ أو ألمانيا الجنوبية الشرقية" وهي كلها أسماء أطلقت عليها و"مدرسة ماربورغ". ينظر: الكانطية الجديدة " رؤية تحليلية نقدية لمفهومها ومدراسها "، لحميد لشهب، ص ٢٨، ط : المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية بيروت، ط الأولى سنة ١٤٤٠ه-٢٠١٩م، والمرجع السابق ، م.روزنتال – ب. يودين، ص ٣٨٩ .

(٢)الجانب الديني للفلسفة، لجوزايا رويس، ص ٢٥.

العمل (يقصد كتاب الجانب الديني للفلسفة) على مذهب فلسفي لا يخلو من التميز والأصالة والاستقلالية في بعض أجزائه، ولكنه بالرغم من استقلاليته وخصوصيته، فإنه يظل منتميًا لتيار الفلسفة المثالية لمن يسمون بالفلاسفة بعد كانط[١]. وهذا يعني أنه إذا كان الإطار العام لفلسفة جوزايا رويس هو الفلسفة المثالية، ومذهب المثالية المطلقة بالخصوص، إلا أنه مع ذلك قد استطاع أن يخط لنفسه مذهبًا مثاليًا أصيلاً ومتميزًا.

وعلى الرغم من تأثر "جوزايا رويس" "بهيجل" إلا أنه جعل مسافة بينه وبين هيجل، لدرجة أنه اعتبر نفسه فيلسوفًا غير هيجلي، فبالنسبة له، أن تكون هيجليًا لا يعني ترديد مصطلحات هيجل بحذافيرها، بل إعادة صياغتها صياغة خاصة تبرز قيمة فكر هيجل وحيويته وخصوبته، وهذا ما قام به بعض الهيجليين الجدد وبه استحقوا هذه التسمية، فكلمة جديد هنا لا تحمل دلالة زمنية، كونهم ظهروا في القرن العشرين، أي قرنًا بعد وفاة هيجل، بقدر ما تحمل دلالة فكرية، أي التجديد الذي أدخلوه على فلسفة هيجل[٢].

يقول "رويس": " فإن من واجب الفرد الذي يعتبر نفسه على دراية كافية بفلسفة هيجل أن يقوم بالتعبير عنها أو صياغتها صياغة جديدة خاصة به. إن تكرار اللغة أو المصطلحات الهيجلية، بدلاً من الفكر الهيجلي، يؤدي إلى وجود التخمة المزعجة؛ لذا دعنا نشكر المفكرين من أمثال الأستاذ "جرين"[٣]

---

(١) الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس، ص ٢٥.

(٢) معجم الفلاسفة الأمريكان ، للشريف طوطاو ، ص ١٢٥.

(٣) توماس هل جرين H.Green ١٨٣٦-١٨٨٢م): فيلسوف انجليزي ولد في مدينة (بركن) في مقاطعة يوركشير، تعلم في جامعة اكسفورد وقضي حياته أستاذًا للفلسفة=

الذين كانوا يتمتعون بقدر من الحرية في التعبير عن أفكارهم عن هيجل بطريقتهم الخاصة. والواقع أننا نسعد لتزايد عدد من يسمون بالهيجليين الجدد، الذي يتمتعون بدرجة أكبر من الاستقلالية، على أية حال، على الرغم من ضخامة حجم ما يدين به الكاتب لهيجل، فإنه لا يعتبر نفسه هيجليًا(١).

فإن "رويس" يقبل الأحادية، ولكنه يقبل الفردية أيضًا (بخلاف هيجل). ويحاول التوفيق بينهما. فيقول من الجهة الواحدة إن طبيعة الفكر تقتضي المطلق، إذ إن الفعل الأساسي للفكر هو الحكم، ولا قيمة للحكم إلا إذا افترضنا فكرًا أكمل من فكرنا حاصلًا علي موضوع الحكم ومنزهًا عن التساؤل والشك اللذين يستدعيان الحكم، فلا حقيقة إلا إذا كان هناك أنا واحد يتضمن كل فكر وكل موضوع، ويقول من جهة أخرى: إن مذهب المطلق يعتمد علي مقتضيات العقل هذه لكي ينكر يقين الحياة العملية، بأفعالها وآلامها، علي حين أن ليس للفكرة من قيمة عملية إلا إذا كانت متشخصة تمام التشخيص مباينة لكل فكرة أخرى(٢).

ويعتبر "جوزايا رويس"، من بين كبار المثاليين في القرن التاسع عشر، في كونه قدم محاولة منه في العديد من كتبه خاصة "الجانب الديني للفلسفة"

=فيها، كان في زمنه أكبر أنصار المذهب المثالي في انجلترا، وهو من اتباع كنت وهيجل في هذا المذهب . ينظر: فلسفة المحدثين والمعاصرين، ا.وولف: ترجمة: أبوالعلا عفيفي، ص٥٦ "تعليق المترجم".

(١)الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس، ص ٢٥، ص ٢٦.

(٢)تاريخ الفلسفة الحديثة ، ليوسف كرم، ص٤٢٤ ، ط :دار المعارف القاهرة، ط الخامسة .

للتوفيق بين الفلسفة والدين ودفاعًا عن الفلسفة، وفي الوقت نفسه مؤكدًا علي عقلانية الدين[١]، إلا أن ما يعطي أهمية لهذا الكتاب يكمن في توقيت ظهوره، فالفلسفات المعاصرة اتجهت إلى رفض الميتافيزيقا، وفقدت الثقة في الدين التقليدي وبخاصة بعد معاناة الإنسان من الحروب وفساد الحياة، فغلبت نزعة التشاؤم وانتشار الشك في كل مقدس ديني أو فلسفي وسادت روح الفردية والأنانية، وطغت الروح المادية وكثرت النزاعات الإلحادية، وانقسم الفلاسفة والمفكرون قسمين: منهم من جعل الفلسفة والمذاهب الجامدة والميتافيزيقا مسئولة عما بلغه العالم من فوضي وفساد وإلحاد، ومنهم من اتهم الأفكار الدينية التقليدية، فجمودها وتخلفها جعلها لا تناسب ظروف العصر، بل هناك من تطرف وبالغ في اتهام الأديان فجعلها سببا في الحروب والصراعات وانتشار الاستغلال والفقر. أما رويس فقد قام بمحاولات بدت في أيامه علي عكس التيار العلماني والبراغماتي السائد. حيث حرص علي إجراء وئام بين القيم الدينية والقيم العلمية والفلسفية[٢].

وقد جاءت فلسفة "رويس" المثالية، فلسفة قادرة على الكشف عن دين مثالي، يستطيع كل إنسان اكتشافه بنفسه، بصرف النظر عن عقيدته، فإن كان الدين يستند على قانون أخلاقي، ومثل أخلاقية عليا، ويحقق للإنسان الحماس الجارف، والعاطفة الدافعة تجاه هذا القانون، ويقدم نظرية ورؤية للعالم، تبين توافق طبيعة الأشياء، ونظام العالم مع هذا القانون الأخلاقي، وترشد الفرد

---

(١) الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس، ص ٣(المقدمة).

(٢) المصدر السابق ، لجوزايا رويس، نفس الصفحة ، و ينظر :جوزايا رويس فيلسوف التبصر الأخلاقي ، لرواد الحسيني: ٢/ ٢٥٧، مجلة الاستغراب ،عدد ٤ ، المركز الاسلامي للدراسات الإستراتيجية – لبنان، سنة ٢٠١٦م

نحو طرق تحقيقه فإن الفلسفة المثالية قادرة على إقامة هذا الدين، إنه دين بلا طقوس وبلا عقائد بالية حجرت العقول، وأثارت الصراعات والحروب، ونصبت المشانق، دين لا يقوم على الإرهاب، وعلى التهديد والوعيد، وفرض القانون، ولا يقوم على المحبة والعاطفة، لأن العواطف متقلبة، ولا يستمد كيانه من حقائق يقينية دوجماطيقية(١)، يسهل الاعتراض عليها، أو من كائنات خرافية يسهل رفضها.

إنه دين العقل حسبما يراه "جوزايا رويس"، دين المثالية في كل عصر، بصيرة دينية تظهر وسط الشكوك، حقيقية دينية، كلما ازداد الشك فيها، تكتشف يقيناً جديدًا، يكمن في كل شيء، فالعالم مظهر لها، والفكر الإنساني نموذجها، فهي وعي ذاتي أبدي واحد شامل فلسفة تقول بوحدة الحياة، وبوجود المطلق، والعقل الكلي الشامل لكل شيء يتصف بالعدل المطلق يرى أفعال الإنسان، ويصاحبه في كل فعل منها، ولكنه لا يتدخل فيها. يشعر الإنسان بوجوده بجانبه، وبوصفه دليلاً على الخيرية المطلقة، ومرشدًا لوحدة الكون من حوله، فيستمد العون الديني ويحيا السكينة والراحة. لا يرهب وجوده، أو يخشى عقابه، أو ينتظر ثوابًا منه، أو مكافأة على أفعاله، فكل

---

(١) الدوجماطيقية: قديمًا هي كل فلسفة تثبت حقائق معينة ومن ثم فالدوجماطيقية في مقابل الشكية، وحديثًا ابتداء من كانط في مقابل (فلسفة نقدية) هي ادعاء التحرك قدمًا بمعونة معرفة خالصة مأخوذة من تصورات معينة، استناداً إلى مبادئ يتعامل معها العقل منذ زمن بعيد دون البحث عن وجه الحق في إقرارها. والدوجماطيقية هي نظرية تقرها السلطة الدينية، ويلتزم بها الأعضاء الواقعون تحت هذه السلطة . ينظر: المعجم الفلسفي، لمراد وهبة ، ص ٣١٤.

مراده منه أن يؤكد له صواب فكرته، يكتشفه بنفسه، بدونه تستحيل الأخطاء، وهو الضامن ليقينه، ولما صدر منه من أحكام صائبة كانت أم خاطئة، يخلصه من التشاؤم والشك؛ لأنه يحيا وسط الشكوك، فالشك طريق إليه ودليل على وجوده(١).

نستنتج مما سبق أن فلسفة "جوزايا رويس" كانت فلسفة مثالية ميتافيزيقية، تؤمن بالنظرة الشاملة والكلية للأشياء، وتبحث دائمًا عن وحدة أساسية تضم الجميع وهي المطلق عنده، وقد كان رويس حريص علي الكشف عن المطلق(الله) في هذا الكون، حيث يبدأ بتجربة جزئية ليصل إلى الحقيقة المطلقة في النهاية، وعن طريق الشك يبرهن علي العقل الشامل الذي هو أعظم من العقل الفردي ويتضمنه، إذ إن الكل يوجد في هذا العقل الكلي الشامل.

وجاءت أيضًا فلسفة "رويس" لحل العديد من المشكلات منها حرية الفرد الأخلاقية والجزاءات من ثواب وعقاب، حيث عبرت فلسفة رويس عن تلك الإشكالات سواء عبر محاولته التأليف والتركيب بين فلسفات واتجاهات فلسفية معينة، أو عبر موقفه النقدي أحيانًا والتأويلي أحيانًا أخرى، من اتجاهات فلسفية معينة. ويمكن القول عمومًا بأن حل هذه الإشكالات جاء متسقًا إلى حد كبير مع مفاهيم العقيدة المسيحية(٢).

---

(١)الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس، ص ٧ (المقدمة) .

(٢) جوزايا رويس فيلسوف التبصر الأخلاقي ، لرواد الحسيني ، ص ٢٦٠. .

وقصاري القول إن "رويس" استقي فلسفته من مجمل التراث الفلسفي الإنساني. فعلى الرغم من تأثره الواضح بالاتجاه المثالي بوجه عام والهيجليين الجدد بوجه خاص إلا إننا لا يمكن أن نتجاهل تأثره بشكل ما أو بآخر سواء بالفلسفة البراجماتية أو بالفلسفة المدرسية في العصور الوسطي وخاصة في معالجتها للقضايا الدينية من ناحية والمسائل الطبيعية والعقلية من الناحية الأخرى، وسيتضح هذا في الصفحات القادمة من البحث.

المبحث الثاني
الميتافيزيقا عند جوزايا رويس

المطلب الأول: مفهوم الميتافيزيقا وموضوعها

أولًا: الميتافيزيقا لغةً: تعريب للكلمة اليونانية (تامتاتا فوسيكا) ومعناها ما بعد الطبيعة(١).

وقد كانت الميتافيزيقا تطلق على كتاب "أرسطو"(٢) الرئيسي المسمى بهذا الاسم، مع أن المعلم الأول لم يستخدم هذه الكلمة على الإطلاق، بل لم يستخدمها واحد من فلاسفة اليونان، فهي لم تظهر في "العصر الهليني"، وإنما ظهرت في "العصر الهلينستي" عندما قام "أندرونيقوس الرودسي"(٣) (حوالي ٦٠ ق.م) الرئيس الحادي عشر للمدرسة المشائية في روما بتصنيف كتب "أرسطو" وترتيبها ونشرها مع شرح للفلسفة الأرسطية، وأثناء ترتيب "أندرونيقوس" لكتب أستاذه "أرسطو"، وجد أن هناك مجموعة من البحوث لم يطلق عليها المعلم الأول اسمًا معينًا يستقر عليه. وقد جاءت في الترتيب بعد

---

(١)موسوعة الفلسفة ، لعبد الرحمن بدوي ، ٢/ ٤٩٣.

(٢) أرسطو: (Aristote) ولد أرسطو في اسطاغيرا وتعرف اليوم باسم ستافرو وهي مدينة صغيرة في شبه الجزيرة الخلقيدية سنة ٣٨٤ ق.م ومات في خلقيس سنة ٣٢٢ ق.م ويمكن القول عن أرسطو انه كان من اعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني. ينظر: معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي ، ص٥٢.

(٣)اندرونيقوس الرودسي: (Andronicos DeAhodes) فليسوف يوناني مشائي من القرن الأول ق.م الزعيم العاشر والاخير للقيون. أسدى خدمة جلي للمدرسة الأرسطية بأن طبع مؤلفات المعلم (الباطنية) في روما نحو سنة ٦٠ ق.م . ينظر : المرجع السابق ، لجورج طرابيشي، ص١٠١.

البحوث التي كتبها "أرسطو" في الطبيعة (الفيزيقا)، فاحتار "أندرونيقوس" ماذا يسميها؟ وأخيرًا أطلق عليها مؤقتًا اسم ميتا (Meta) أي ما بعد، وفيزيقا (Physics) أي علم الطبيعة، أي أنها البحوث التي تلي كتب الطبيعة في ترتيب المؤلفات الأرسطية. فكلمة "ميتافيزيقا" أو ما بعد الطبيعة لا تحمل أية إشارة إلى مضمون هذه البحوث، بل هي ما بعد طبيعة أرسطو فحسب، وهكذا جاءت التسمية عرضًا أو مصادفةً، لكنها مع تطور المصطلح أصبحت وصفًا للموضوعات التي يدرسها هذا العلم، بمعنى أنها العلم الذي يدرس موضوعات تجاوز الظواهر المحسوسة(١).

أما "أرسطو" فكان يطلق عليها تسميات متعددة، منها الفلسفة الأولى، تمييزًا لها عن الفلسفة الثانية (الطبيعة) والحكمة، لأنها تبحث في العلل الأولى إطلاقًا والعلم الإلهي، لأن أهم مباحثها هو الله باعتباره الموجود الأول والعلة الأولى للوجود(٢).

ثانيًا: الميتافيزيقا اصطلاحًا في تاريخ الفكر الفلسفي:

تعددت واختلفت التعريفات الاصطلاحية للميتافيزيقا خلال تاريخ الفكر الفلسفي حسب الاتجاه الفكري لكل فيلسوف، **ففي الفلسفة اليونانية:** وصف "أرسطو" موضوع بحثه بعدة طرائق مختلفة كان يراها جميعًا متساوية، فقد سماه دراسة المبادئ الأولى للأشياء، وقال عنه إنه علم الوجود عامة، أو علم "الوجود من حيث هو كذلك"، وبذلك وضعه من هذه الناحية في مقابل العلوم

---

(١) مدخل إلى الميتافيزيقا ، لإمام عبد الفتاح ، ص ١٧، ١٨، ط : نهضة مصر، القاهرة ، ط الأولى اكتوبر سنة ٢٠٠٥م.

(٢) الميتافيزيقا في فلسفة نيتشه ، لعبد الله عبد الهادي المرهج ، ١٦/٢٨ ، عدد١١٢، المجلة العربية للعلوم الانسانية – جامعة الكويت، ، ط سنة٢٠١٠م .

الخاصة المنوعة التي يدرس كل منها جزءًا واحدًا فحسب، أو ناحية من نواحي الوجود. كما وصف "أرسطو" بحثه بأنه دراسة "الجوهر"، وهي عبارة تحتل مكانة رئيسة في مؤلفات معظم الميتافيزيقيين الكبار الذين جاءوا في أعقابه، وقد أعلن "أرسطو" أن الجوهر هو ما وجد منذ البداية، وأنه سابق على سائر الأشياء الأخرى لا من حيث الوجود فحسب، بل من حيث التفسير والمعرفة كذلك، أي أن تفسير أي شيء آخر يتطلب فكرة الجوهر، ومعرفة أي شيء آخر تقتضي معرفة الجوهر، وإن وجود أي شيء آخر يتوقف على وجود الجوهر. وهكذا ينظر "أرسطو" إلى الميتافيزيقا باعتبارها دراسة فريدة شاملة لكل ما هو جوهري في الوجود والمعرفة والتفسير جميعًا(١).

ومن "أرسطو" انتقل تعريف الفلسفة الأولى إلى تلاميذه وشراحه وخصوصًا "الإسكندر الإفروديسي"(٢) الذي عرف الميتافيزيقا، وربما كان أول من استخدم هذا اللفظ للدلالة على هذا العلم – بأنها الفلسفة الأولى التي تبحث في الوجود بما هو وجود، ولا تبحث في أي موجود معين بالذات أو في جزء من أجزاء الموجود مثلما تفعل سائر العلوم، وهكذا تصبح الميتافيزيقا علم الوجود الشامل(٣).

---

(١)الموسوعة الفلسفية المختصرة ، لجوناثان ري- وج. أو. أرمسون ، ص ٣٥٦.

(٢)الاسكندر الأفروديسي: (Alexandre ,DAphrodIslas) فليسوف مشائي من مدرسة الأسكندرية ، عاش بين القرنين الثاني والثالث للميلاد ، ولقب بالشارح لأن شروحه على أرسطو هي أقدم ما وصلنا من الشروح.كان لفكره نفوذ عظيم في العصور الوسطى في الغرب كما لدى العرب . ينظر : معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي ، ص٦٣، ٦٤ .

(٣) موسوعة الفلسفة ، لعبد الرحمن بدوي ، ٢/ ٤٩٤، وينظر: مدخل إلى الميتافيزيقا ، لإمام عبد الفتاح إمام ، ص ١٩.

وإذا انتقلنا إلى تعريف الميتافيزيقا في "**العصر الوسيط عند فلاسفة الإسلام**": نجد الميتافيزيقا عند "الكندي"[١] هي علم الربوبية، وهو أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة؛ لأن حده علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، إنه على الحق الأول الذي هو علة كل حق.

أما "الفارابي"[٢] فالميتافيزيقا عنده هي علم بالموجود بما هو موجود، وبه

---

(١) الكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي المنتسب إلى الأشعث بن قيس الكندي الذي كان ملكًا على كندة عند ظهور الإسلام، ولد في الكوفة عام ١٨٩هـ-٨٠٣م، وتوفي عام ٢٦٠هـ-٨٧٣م، فيلسوف عربي ومنجم ورياضي وفيزيائي ومؤسس الفلسفة الأرسطية العربية، وترجم بعض كتب أرسطو وأصلح ترجمة البعض الآخر، ومن ذلك كتاب "أوثولوجيا أرسطا طاليس" المنحول على أرسطو، ترك رسائل عديدة في مختلف المعارف، ضاع بعضها والباقي منها نشر تحت عنوان "رسائل الكندي الفلسفية" أهمها رسائله في الفلسفة الأولى، وفي حدود الأشياء ورسومها، وفي النفس، وفي العقل، وفي كمية كتب أرسطو. ينظر: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطي، لعبده فراج، ص ٨١، ٨٢ ط : مكتبة الأنجلو المصرية، ط الأولى سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ، ومعجم الفلسفة ، لمحمود يعقوبي ، ص٢٢٦.

(٢) الفارابي: (نحو ٨٧٣-٩٥٣م) أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي، ولد بقرية وسيج من أعمال فاراب بجنوبي تركستان وشمالي فارس، وتعلم ببغداد، ودرس بالإضافة إلى الفلسفة علم طبيعة والرياضيات والفلك والموسيقي، وسمي الفارابي بالمعلم الثاني، وأرسطو المعلم الأول، وللفارابي كتب كثيرة أشهرها " التعليم الثاني"، و"مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة "، و" الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو "، و" تحصيل السعادة"، وإحصاء العلوم وترتيبها" . ينظر : موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، لعبد المنعم الحفني، ٩٤١/٢.

يعرف كيف صدر هذا العالم المتعدد عن الذات الواحدة، وكيف فاض فيض الخلق عن المصدر الأول من دون تناقض ولا اختلاف[١].

ويعرف "ابن سينا"[٢] الميتافيزيقا بأنها العلم الإلهي وهو علم يبحث عن الوجود المطلق وينتهي بالتفصيل، حيث تبتدئ منه سائر العلوم، فيكون في هذا العلم بيان مبادئ سائر العلوم الجزئية[٣].

بينما يقسم "ابن رشد"[٤] علم الفلسفة إلى ثلاثة أقسام، يختص أحدها (الميتافيزيقا) بالنظر في مبادئ الجوهر، وهي الأمور المفارقة، ويعرف أي وجود وجودها، ونسبتها إلى مبدئها الأول الذي هو الله تعالى[٥]. يتبين لنا مما

---

(١)من الكندي إلى ابن رشد، لموسي الموسوي ، ص٩٦، ط : بيروت سنة ١٩٨٢ م.

(٢)ابن سينا: (Ibn Sina):(٩٨٠- ١٠٣٧م) أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا، فليسوف وطبيب وعالم طبيعي وشاعر، عاش في مدينة بخاري وايران، له دور كبير في نشر التراث الفلسفي والعلمي العام القديم وخاصة تعاليم ارسطو، ألف عددًا كبير من التصانيف، وقد تضمن ثبت مؤلفات ابن سينا، الذي نشره في القاهرة سنة ١٩٥٠ الأب قنواتي ٢٧٦ عنواناً، لا يزال كثير منها مخطوطًا، ومن مؤلفاته "الشفاء"، و" الإشارات والتنبيهات"، و" القانون في طب". ينظر : الموسوعة الفلسفية ،م.روزنتال –ب.يودين ص ٨ ، ومعجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي، ص٢٦-٣٠.

(٣)النجاة " في الحكمة المنطقية وطبيعية والإلهية " ، لابن سينا، تحقيق: محي الدين صبري الكردي، ص ١٩٨ ، ط : دار السعادة مصر، ط الثانية سنة ١٣٥٧ه/ ١٩٣٨م.

(٤)ابن رشد: (Ibn Roshd Averroes)ابو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، فليسوف عربي. ولد في قرطبة (الأندلس) سنة ٥٢٠ه/١١٢٦م، وتوفي في ٩صفر ٥٩٥هـ/١٠ كانون الأول ١١٩٨م في مراكش (المغرب) واهتم بدراسة الفلسفة وشرح مؤلفات ارسطو، ومن مؤلفاته تهافت التهافت، الذي رد فيه على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة. ينظر : معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي ، ص٢٣- ٢٤.

(٥) من الكندي إلي ابن رشد، لموسي الموسوي ، ص ٩٦.

سبق أن الميتافيزيقا عند الفلاسفة المسلمين وإن حملت السمة الدينية إلا أنها بقيت متأثرة بتعريف أرسطو لها، فهي عندهم شاملة للوجود والإلهيات جميعًا.

وإذا بحثنا عن تعريف الميتافيزيقا "**في العصر الوسيط عند فلاسفة اللاهوت**": وجدناها على سبيل المثال عند "توما الأكويني"[١] هي علم العلل الأولى أو المبادئ الأولى، وهي كلها ترجع إلى علة واحدة وهي الله[٢].

أما تعريف الميتافيزيقا **في الفلسفة الحديثة:** فهي تشمل "عند ديكارت" [٣] مبادئ المعرفة والتي من بينها تفسير أهم صفات الله، ولا مادية نفوسنا،

---

(١) القديس توماس الأكويني: ينتمي إلى أسرة من النبلاء الألمان، فأبوه أمير أكوينو الواقعة شمال مدينة نابولي، ولد سنة١٢٢٥م، التحق في صباه بدير جبل كاسينو البندكي ثم بجامعة نابولي عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، وكان أستاذة هذه الجامعة شديدي التحمس للفلسفة الأرسطية ولفلسفة ابن رشد وغيره من المسلمين، وفي التاسعة عشرة من عمره التحق بدير الرهبان الدومنيكان، وأرسله الدير إلى باريس لدراسة اللاهوت وهناك حصل على الأستاذية، وكتب بباريس شروحًا على بعض أجزاء الكتاب المقدس،، وعلي كتاب الأحكام في علم اللاهوت لبطرس اللمباردي، وألف كتاب الماهية والوجود، وعندما سافر إلى إيطاليا للتدريس طلب منه أن يترجم كتب أرسطو من اليونانية مباشرة، وأعظم كتبه هي الشروح والشوامل، وتوفي سنة ١٢٧٤م . ينظر: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطي ، لعبده فراج ص ٢١١، ٢١٣.

(٢) فلسفة العصور الوسطي، لعبد الرحمن بدوي، ص١٣٤، ط : الكويت، ودار القلم بيروت، ط الثالثة سنة ١٩٧٩م.

(٣) ديكارت"رينيه": Rene Descartes (١٥٩٦ -١٦٥٠م) فرنسي، ولد بمقاطعة نورين، وتعلم بكلية لافليش اليسوعية، وهي من أشهر مدارس أوروبا، ونال إجازة الحقوق من بواتيني سنة١٦١٦م، وكان ديكارت فيلسوفًا وعالمًا ورياضيًا، واشتهر ديكارت بمنهج الشك، والشك عنده تفكير، والتفكير وجود، ومن ثم مقالته الشهيرة "=

وجميع المعاني الواضحة البسيطة التي هي فينا [١]. وهنا نلاحظ أن تعريف "ديكارت" للميتافيزيقا لا يختلف عن تعريفها عند "فلاسفة الإسلام"، وعند "توما الإكويني"، لأنها تتناول موضوع العلم الإلهي أو الله الموجود المطلق، وهذه التعريفات بمجملها لم تخرج عن تعريف أرسطو ولم تأتِ بجديد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معنى الميتافيزيقا أخذ يتغير بعد "ديكارت"، فاعتبرت الميتافيزيقا في فلسفة "كانط " متضمنة لظواهر الإدراك، الذي يكون قبليًا أي أوليًا سابقًا على التجربة[٢].

فقد أكد "كانط" قبل كل شيء على الطابع اللاتجريبي لموضوع الميتافيزيقا التقليدية ومنهجها على السواء. وأما منهجها فكان قبليًا أي إمكانية استخدام العقل الخالص وحده، وأما موضوع دراستها فهو موضوع مفارق أي لا علاقة له بالواقع الحسي، فليس من الممكن التحقق من نتائجها أو من مناهجها عن طريق الخبرة؛ لأنها تريد الوصول إلى نتائج عن أشياء تجاوز حدود الخبرة ووفقًا لمبادئ لم تقررها الخبرة، وهكذا يصبح ميدان القتال بين تلك المنازعات التي لا حصر لها هو ما يسمى الميتافيزيقا. واستخلص كانط أنه ينبغي أن نحول نور العقل على العقل نفسه، وأن نأخذ على عاتقنا مهمة

=أنا أفكر وإذن أنا موجود" تلك حقيقة مؤكدة عند ديكارت، وهو يتخذها المبدأ الأول للفلسفة، ومعيارًا لكل حقيقة، ومن مؤلفاته الرئيسية" مقال في المنهج"، و"مبادئ الفلسفة" ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، لعبد المنعم الحفني، ١/ ٥٩٧ : ٦٠٠، و الموسوعة الفلسفية، م.روزنتال – ب. يودين، ص ٢١٠.

(١) مبادئ الفلسفة ، لديكارت ، ترجمه وقدم له وعلق عليه: عثمان أمين، ص١٤ ، ط: دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٧٥م.

(٢) الميتافيزيقا في فلسفة نيتشه، لعبد الله عبد الهادي المرهج، ص ١٩.

الفحص النقدي للعقل الخالص لكي نحدد ما تقدر وما لا تقدر عليه. إذن فواجب الميتافيزيقا الأول عنده، وربما يكون الواجب الوحيد هو أن تحدد حدودها الخاصة[١]. أي أصبحت الميتافيزيقا عند" كانط " تعني البحث في الظواهر التي في مقدور العقل البشري ولا تتعدي حدود التجربة.

ويعرف "أوجست كونت"[٢] الميتافيزيقا بأنها نمط فكري وسيط بين اللاهوتي والوضعي، فهي

تسعى لمعرفة أصل كل الأشياء ومجراها، والمصدر الأساسي لإنتاج كل الظواهر[٣].

وأخيرًا الميتافيزيقا **في الفلسفة المعاصرة:** عند "برادلي"[٤] مثلًا هي تأكيد على إمكانية فهم الميتافيزيقا باعتبارها محاولة لمعرفة حقيقة الواقع في مقابل

---

(١) إمانويل كنت ، لعبد الرحمن بدوي، ص٣٢١، ط : الكويت، ط الأولى سنة ١٩٧٧م.

(٢) كونت Auguste comt: فيلسوف فرنسي وهو مؤسس الوضعية، والمؤسس الحديث لعلم الاجتماع، ولد سنة ١٧٩٨ في مونبيليه(جنوبي فرنسا) من أسرة ملكية وكاثوليكية، وتعلم في باريس، كرس كونت حياته كلها لعرض مذهبه في الوضعية، ويمكن تقسيمه إلى قسمين، الأول يتمثل في محاضراته بعنوان " محاضرات في الفلسفة الوضعية" والثاني يتمثل في المؤلفات التالية: " التقويم الوضعي"، و" الوضعية على طريقة السؤال والجواب"، و" المذهب الذاتي" وتوفي سنة ١٨٥٨م . ينظر: موسوعة الفلسفة ، لعبد الرحمن بدوي ، ٣١١/٢، ٣١٢ .

(٣) موسوعة لا لاند الفلسفية ، لأندريه لا لاند ، ١/ ٧٩٤، ٧٩٥.

(٤) برادلي (فرانسيس هيربرت):(Herbert Bradley francis ١٨٤٦- ١٩٢٤م) انجليزي ولد في كلابهام، وتعلم باكسفورد، وعين أستاذًا بها، وأهم كتبه دراسات أخلاقية، ومبادئ المنطق الذي تميز بأسلوبه الرائع فيه، وكتاب الظاهر والحقيقة، وكان برادلي هيجليًا وقف ضد اللبيرالية والنفعية والتجريبية والوضعية التي راجت في=

الظاهر المحض، أو هي دراسة للمبادئ الأولى أو الحقائق النهائية، أو أن نفهمها على أنها المجهود الذي يبذل للإحاطة بالكون، لا على أنه أجزاء، أو قطع متفرقة، بل على أنه كل بطريقة ما[١]. وهذا يعني أن الميتافيزيقا عنده بحث فيما وراء الظواهر المحسوسة لمعرفة حقيقتها.

نستنتج مما سبق أن الميتافيزيقا وإن اهتمت بدراسة الوجود في الفلسفة اليونانية فعرفها "أرسطو" بأنها البحث في الوجود بما هو وجود، فإن هذا المفهوم وإن تأثرت به الميتافيزيقا في العصور الوسطى سواء إسلامية أو مسيحية، إلا أنه تغير في العصر الحديث وفي الفلسفة المعاصرة، فقد امتد مجال الميتافيزيقا ليشمل بجانب الوجود دراسة المعرفة أيضًا.

ثالثًا: موضوع الميتافيزيقا:

تبين لنا مما سبق أن موضوع الميتافيزيقا في البداية كان أنطولوجيًا أي دراسة الوجود بما هو موجود، وهو يندرج ضمن التقسيم التقليدي للميتافيزيقا، والذي لم يظهر إلا متأخرًا مع أحد الفلاسفة العقلانيين التنويريين في ألمانيا، وهو الفيلسوف " كريستيان فولف "[٢] الذي قسم الميتافيزيقا أربعة مباحث على الوجه التالي:

=زمانه، واشتهر في العقد الأول من القرن العشرين . ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، لعبد المنعم الحفني ١/ ٢٧١ .

(١)الموسوعة الفلسفية المختصرة ، لجوناثان ري – وج. أو. أرمسون ، ص ٣٥٦.

(٢) كريستيان فولف wollf (١٦٧٩-١٧٥٤م): فيلسوف ألماني مثالي عقلاني، من أتباع ليبنيتس، ويعد أول فيلسوف منهجي يعزي إليه فضل تعميم المصطلحات الفلسفية في ألمانيا، وإدخال ألفاظ جديدة في اللغة الألمانية أهم مؤلفاته " الفلسفة العقلانية"، و" علم النفس التجريبي"، و" علم النفس العقلاني،، و" اللاهوت طبيعي،، و" الأخلاق=

القسم الأول: هو "الأنطولوجيا" أو نظرية الوجود. وهو فرع من البحث الميتافيزيقي يهتم بدراسة الوجود ذاته (بمنأى عن طبيعة الموجودات) وتميز بين الوجود "الحقيقي" و"المظهر" وتبحث في الطرق المختلفة التي تنتمي من خلالها الموجودات للمقولات المنطقية المختلفة (الأعداد، الكليات، المجردات،،) كما تبحث في الافتراضات المختلفة حول الوجود المجرد أو أي نظرية عن نسق الأفكار(١).

وقد ظلت الأنطولوجيا قسمًا رئيسًا من أقسام الميتافيزيقا منذ "أرسطو" حتى العصور الوسطى: مسيحية وإسلامية على السواء، ثم تحولت في العصور الحديثة إلى دراسة الإبستمولوجيا أو نظرية المعرفة. كما رأينا عند ديكارت وكانط وغيرهما، والحق أن هناك ارتباطًا ضروريًا بين الأنطولوجيا والإبستمولوجيا، ذلك لأن دراسة الخصائص العامة للوجود تعني أيضًا معرفتنا بهذه الخصائص، فأنا أعرف كذا وكذا من الكيفيات عن الوجود.

وأما القسم الثاني" السيكولوجيا" أو علم النفس العقلي فهو قسم يهتم بدراسة النفس البشرية من حيث كونها بسيطة أو مركبة، والبحث في طبيعتها، إن كانت واحدة أم متعددة، وهل هناك فرق بينها وبين الروح، وما علاقتها بالجسد؟ إضافة إلى البحث في خلودها وفنائها بفناء الجسد والمصير الذي تؤول إليه ...

=العقلانية". ينظر : معجم الفلسفة ، لمحمود يعقوبي، ص ٢٢٢ ، و قراءة للمصطلح الفلسفي، لصفاء عبد السلام جعفر، ص ١١ ، ط : دار الثقافة العلمية الاسكندرية، سنة ١٩٨٩م.

(١) قراءة للمصطلح الفلسفي ، لصفاء عبد السلام جعفر، ص ١٢.

والقسم الثالث: "الكسمولوجيا" أو الكونيات: فهو العلم الذي يعنى بالنظر في مفهوم العالم ضمن أجزائه وكمالاته، وما الغاية والهدف المرجوان منه بعيدًا عن النظرة العلمية الرافضة لهما(١).

أما القسم الرابع والأخير: "اللاهوت العقلي أو الطبيعي"، وهو يناقش موضوع الألوهية والأدلة على وجود الله وصفاته ... إلخ. وتنقسم المذاهب اللاهوتية الميتافيزيقية ثلاثة أقسام، أولاً: مذهب التأليه أو المؤلهة، وهم القائلون بوجود إله، فإن قالوا بوجود إله واحد كانوا من أتباع مذهب التوحيد، وإن قالوا بوجود أكثر من إله كانوا من أصحاب الشرك أو التعدد، وإن قالوا إن الله والعالم حقيقة واحدة كانوا من أتباع مذهب وحدة الوجود، أو شمول الألوهية، أو مذهب الحلول أو التجسيد.

ثانيًا- مذهب الطبيعيين الإلهيين وهم الذين يؤمنون بوجود إله لكنهم ينكرون الوحي والرسل والكتب المقدسة، على أساس أن العقل وحده بنوره الطبيعي قادر على معرفة الله.

ثالثًا- مذهب الإلحاد وأصحابه ينكرون الألوهية في كل صورها(٢).

ومن الجدير بالذكر أن ما يسمى بالتقسيم التقليدي للميتافيزيقا هاجمه "كانط" بعنف في كتابه "نقد العقل الخالص" ووصفه بأنه تقسيم يعبر عن ميتافيزيقا دجماطيقية أو قطعية تسلم بموضوعاتها قبل أن تسأل نفسها هل في استطاعتها أن تدرسها أم لا؟ وهل ملكات العقل البشري قادرة على معرفتها أم أن هذه الملكات لا تستطيع أن تدرك إلا الظاهر وحده فحسب؟

---

(١) مدخل إلى الميتافيزيقا ، لإمام عبد الفتاح إمام ، ص ٣٢، ٣٤.

(٢) المرجع السابق ، لإمام عبد الفتاح إمام ، ص ٣٥، ٣٦.

ثم جاء "هيجل" بعد ذلك ليبارك الهجوم الكانطي ويقول: "إن وضع مصطلحات الميتافيزيقا القديمة موضع البحث كان خطوة على جانب كبير من الأهمية". والتغاضي عما قاله "كانط" لن يتم إلا بالتقهقر إلى الوراء، أما التقدم إلى الأمام فلن يكون إلا بهداية نور النقد الكانطي، ثم وضع هيجل ميتافيزيقا جديدة خاصة به تضم مقولات المنطق، وفلسفة الطبيعة، وفلسفة الروح، ورتبها في سلسلة واحدة متصلة الحلقات كل منها تسلم إلى الأخرى بضرورة بطريقة عقلية واضحة. والحق أن "هيجل" عرض لجميع تصورات الميتافيزيقا القديمة، لكنه أدخلها في مذهبه بطريقة جدلية خاصة [١]. وهذا يعني أن الميتافيزيقا وإن هوجمت في صورتها التقليدية القديمة، من قبل كانط إلا أن ذلك لم يقضِ عليها، إنما عمل علي تطويرها إلى حد ما علي يد "هيجل" .

****

(١) مدخل إلى الميتافيزيقا ، لإمام عبد الفتاح إمام ، ص ٣٧، ٣٨.

المطلب الثاني: الميتافيزيقا وعلاقتها بالمنطق عند جوزايا رويس

أولًا: الميتافيزيقا عند جوزايا رويس:

إذا كانت الميتافيزيقا عند "أرسطو" وأتباعه هي دراسة للوجود بما هو موجود، ثم انتقلت في الفلسفة الحديثة، لاسيما عند "ديكارت "و"كانط" إلى دراسة قدراتنا المعرفية: انتقلت من الأنطولوجيا إلى الأبستمولوجيا أو من الموضوع إلى الذات(١). فقد أصبحت الميتافيزيقا عند "جوزايا رويس" في القرن التاسع عشر، كما كانت عند "هيجل" من قبل، دراسة للاثنين معًا الموضوع والذات في آن واحد أو الأنطولوجيا والأبستمولوجيا معًا(الوجود والمعرفة).

ويبدو من ذلك تأثر "جوزايا رويس" "بهيجل"، إلا أن "رويس"، لم يزعم مثل "هيجل"، استنباط كل مقولات المطلق وتصوراته بطريقة جدلية ؛ بل كان كانطيًا بدرجة تكفي للتسليم بأن المعلومات التفصيلية عن مسائل الواقع والمبادئ العامة للوصف العلمي تتطلب تجربة حسية بالإضافة إلى مقولات الذهن. إن بعض المبادئ العامة عن طبيعة الواقع ككل يمكن البرهنة عليها قبليًا- أي هناك قضايا لا يمكن إنكارها دون أن نفترضها بصورة غير متسقة في فعل الإنكار نفسه. إننا نستطيع، علي هذا النحو، أن نتأكد بصورة مطلقة من الذات المطلقة وبعض مبادئ الميتافيزيقا، والمنطق، والأخلاق، ويسلم "رويس" بأنه يجب أن نعتمد علي الملاحظة والتجربة بالنسبة لبقية المعرفة(٢).

---

(١) مدخل إلي الميتافيزيقا ،إمام عبد الفتاح إمام ، ص ١٦٨.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ، لوليم كلي رايت ، ص ٤٦٩.

وقد تناول "رويس" قضايا الميتافيزيقا في كثير من كتبه وخاصة كتابه "العالم والفرد" وهو جزآن عرض فيه بصورة مفصلة لكثير من المشكلات الميتافيزيقية(١).

ثانيًا: علاقة الميتافيزيقا بالمنطق عند جوزايا رويس:

لقد كان "رويس" من أوائل مؤسسي النظريات المنطقية في الفلسفة الأمريكية ذات الأهمية الميتافيزيقية والكونية، ويشكل علم المنطق عنده جزءًا من مذهبه الفلسفي، تمامًا كما الأمر مع هيجل، فلا يعتبر المنطق مقدمة للفلسفة أو علمًا مستقلاً بقدر ما يعد جزءًا من البناء الفلسفي لمذهبه، كما يؤسس عنده لنظرية ميتافيزيقية أو دينية(٢).

وقد اهتم "رويس" اهتمامًا كبيرًا بعلم المنطق، وقدم في هذا الخصوص إسهامات مهمة بحيث يمكن اعتبار أعماله المنطقية بمثابة إرهاصات حقيقية لتأسيس المنطق الرمزي في العصر الحديث، فقد ألف فيه مجموعة من المؤلفات نذكر منها: "أهمية التحليل المنطقي" ١٨٨١م، و"علاقة المنطق ومبادئه بأسس الهندسة" ١٩٠٥م، و"مبادئ المنطق" ١٩١٢م(٣).

---

(١) مبادئ المنطق ، لجوزايا رويس، ترجمة :أحمد الأنصاري، المقدمة ص٥ ، ط:المشروع القومي للترجمة القاهرة سنة ٢٠٠٢م .

(٢) معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيين إلى ما بعد الحداثيين ، للشريف طوطاو، ص ١٥٦، وينظر: المصدر السابق ، لجوزايا رويس ،المقدمة ص١٨، ٢١.

(٣) معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيين إلى ما بعد الحداثيين ، للشريف طوطاو، ص١٥٦.

والمنطق عند "رويس" علم للنظام[١] يدرس المفاهيم المنطقية مثل مفهوم العلاقة والفئة والسلسلة، ويدرس الأنساق المنطقية[٢] الموضوعية، من حيث بنائها، وطبيعة تكوينها واتصافها بالمصداقية المطلقة، وجمعها بين النظرية والملاحظة والابتكار والكشف [٣].

وتوجد علاقة وثيقة بين ميتافيزيقا "رويس" ونظريته في المنطق وهي التي أطلق عليها في كتاب مبادئ المنطق بـــ "نظرية النظام"، فقد نظر رويس لهذه الكيانات المنطقية، بوصفها كيانات ضرورية لها كيانها الخاص، فهي كيانات منطقية قائمة بذاتها ومستقلة استقلالاً تامًا عن الموضوعات الفكرية، ولا يمكن إدراك العالم بدونها، وتخضع لها كل أنساق الموضوعات النظرية والمادية وأنماط الأفعال، وبذلك يمكن القول بأن هذه الكيانات المنطقية تكتسب وجودًا واقعيًا، الأمر الذي يجعلها تشبه "مثل" أفلاطون[٤] من حيث

---

(٣) النظام: النظام بالمعنى العام أحد مفاهيم العقل الأساسية ، ويشمل الترتيب الزماني ، والترتيب المكاني ، والترتيب العددي ، والسلاسل والعلل والقوانين ، والغايات ، والأجناس ، والأنواع والأحوال الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية والجمالية. والنظام في المنطق الرياضي هو الترتيب والاتساق بين الحدود. ينظر : المعجم الفلسفي ، لجميل صليبا ، ٢/ ٤٧١.

(٢) الأنساق المنطقية: مثل النسق المسلسل، ونظام الأسبقيات، والأنساق ذات السلاسل المفتوحة والسلاسل المغلقة، فهناك سلسلة الأعداد الصحيحة، وسلسلة الأعداد الصماء، والسلاسل الكثيفة، والسلاسل الممتدة.... ينظر: مبادئ المنطق ، لجوزايا رويس ، ص ١٣، ١٤.

(٣)المصدر السابق، لجوزايا رويس ، ص٦ المقدمة.

(٤) أفلاطون:Platon(٤٢٨/٤٢٧-٣٤٧ق.م) فيلسوف مثالي يوناني وتلميذ لســقراط، ومؤسس المثالية الموضوعية ومؤلف أكثر من ثلاثين محاورة فلسفية (السوفسطائي،=

الوجود والثبات والكمون الذي يوجد وراء كل ما هو ظاهر ومتغير ... وإذا تم النظر إلى هذه الكيانات من منظور ديني فواضح أنها كيانات يلتزم بها كل فكر، أو كل كائن مفكر، سواء كان إنسانيًا أو إلهيًا، ولما كان العالم في جانب ما مظهرًا لعقل يعبر عن نفسه فيه، وفي جانب آخر هو ما يقصده كل فكر إنساني، فما يقصد يوجد، وبالتالي يخضع لنفس الأنساق المنظمة التي يخضع لها الفكر، فإنه من الممكن القول بأن هذا النسق المنظم عبارة عن الروح المشترك الكامن وراء العقل، وحلقة الوصل بين الإلهي والإنساني والعالم، وبين الروحي والمادي، وبين المثالي والواقعي[١].

إذ إن "رويس" قد استفاد من المنطق في فلسفته الميتافيزيقية، فلم يقتصر على النظر إليه بوصفه علمًا للتفكير أو للمناهج، إنما وظفه لتحقيق الربط بين المطلق(الله) والعالم والإنسان، فمنطق المطلق منطق الإنسان، ومنطق نظام الأشياء في العالم، وإذا كان كانط قد قال بأن نظام الأشياء هو نظام لأفكارنا، فإن رويس قد قدم التبرير المنطقي، فالكل يخضع للنسق المنظم الذي ينطبق على كل موضوعات الفكر والواقع، والوقائع المثالية والمادية" [٢].

=وبارمنيدس، وتيتياتوس، والجمهورية وغيرها من المحاورات)، ولكي يتمكن من تفسير الوجود أنشأ نظرية عن وجود الصور الخالدة للأشياء التي سماها "المثل" أو الأفكار ووحد بينها وبين الوجود، والمثل عند أفلاطون خالدة فهي لا تولد ولا تموت، فهي غير نسبية ولا تتوقف عن الزمان أو المكان. ينظر: الموسوعة الفلسفية، م.روزنتال – ب.يودين ، ص٤٠، ٤١.

(١) معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيين إلى ما بعد الحداثيين ، للشريف طوطاو ص ١٥٦، وينظر: مبادئ المنطق، لجوزايا رويس ، ص ٨ المقدمة.

(٢) المصدر السابق، لجوزايا رويس ، ص ٩ المقدمة.

كما كانت مهمة المنطق عند "رويس" هي تفسير أنماط النظم الموضوعية التي لها دلالة ميتافيزيقية وكونية. الواقع كله عقل مطلق وشامل، يتجلى في العقول البشرية على نحو فردي، فالفرد له علاقة بالمطلق عن طريقة مشاركة التجربة الفردية مع التجربة المطلقة وفهم الإنسان لهذه المشاركة. والمنطق هو وسيلة هذا الفهم. ولما كانت علاقة الإنسان بالواقع هي علاقة عقل بعقل، فالمنطق هو أفضل آلة لفهم صلة العقول بعضها بالبعض الآخر وتفسيرها"(١).

ولقد استعمل "رويس" في ذلك المنطق الهيجلي باعتباره العلم الذي يعالج المثال أو الفكرة في داخليتها المجردة، كوجود ولنفي الوجود وصيرورته، غير أن الفكرة ليست فقط وجودًا في ذاته أي ثابتًا، كذلك وجود لذاته، أي حركة الآخر والنقيض، وبالتالي تنتهي إلى نفي داخليتها المجردة، فتلتقي خارجيتها التي هي الطبيعة(٢).

ومن الجدير بالذكر أن "رويس" اتجه إلى دراسة المنطق الرياضي بفضل نصيحة أستاذه "تشارلز بيرس" قال بيرس: لِمَ لا تدرس المنطق الرياضي يا رويس؟ فقد يوضح مشكلتك، ويشد أزر مذهبك الفلسفي. وقد أخذ رويس بالنصيحة واكتشف بالضبط ما كان في حاجة إليه: الفكرة الرياضية لسلسلة لا متناهية وفكـــرة جماعة التفسير. وعلى أساس هذه الأفكار أعاد وضع مذهبه

---

(١) مقدمة في الاستغراب ، لحسن حنفي ، ص ٣٧٣.

(٢) الفلسفة في مسارها ، لجورج زيناتي ، ص ٢٢٧، ط : بيروت مكتبة مؤمن قريش، سنة ٢٠١٣م .

كله، وكرس مبحثه الملحق بالمجلد الأول "العالم والفرد" لهذه المهمة" (١).

وقد توصل "جوزايا رويس" عن طريق الكيانات أو الأنساق المنطقية إلى حل الكثير من المشكلات الميتافيزيقية التي واجهت فلسفته، والتي منها "مشكلة اللامتناهي الواقعي " التي أثارها "برادلي". يقول أحمد الأنصاري: "يعد المقال الملحق بالجزء الأول " العالم والفرد" والذي تناول فيه رويس مشكلة اللامتناهي الواقعي نموذجًا رائعًا لاستخدام أدوات المنطق الحديث لمعالجة المسائل الميتافيزيقية، حاول فيه تقديم رد مقنع لمذهب برادلي الشكلي. وبين خطؤه حين أنكر معرفة العقل الإنساني للفرد، ودافع عن وجود اللامتناهي الواقعي، ووضح كيف يمكن أن يصبح الأفراد الحقيقيون موضوعًا لجدل ميتافيزيقي ... لم يستطع رويس أن يتجاهل مذهب برادلي القائل إن وحدة الواحد والكثرة أو وحدة المطلق والأفراد المتناهية مستحيلة، ولا يستطيع العقل الإنساني تصورها دون الوقوع في التناقض، كان عليه أن يبين أن أفكاره الفلسفية من الممكن تطبيقها بالرغم من الشكوك التي أثارها برادلي" (٢).

وكان" برادلي" يقول في كتابه" الظاهر والواقع "بأن اللانهائي المطلق هو مفهوم متناقض، ومن ثم ليس ممكنًا وجود لا نهائي مطلق. يجيب رويس – عملاً بنصيحة بيرس في هذا المجال– بأن اللانهائي المطلق الذي يدركه، هو

---

(١) تاريخ الفلسفة الأمريكية ، لهربرت شنيدر ، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، ص٣٢٣ ، ط: مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة ١٩٦٤م.

(٢) العالم والفرد (الطبيعة، الإنسان، النظام الأخلاقي) ، لجوزايا رويس ، ترجمة وتقديم: أحمد الأنصاري، ٢/ ٩، ١٠ (المقدمة) ، ط :المركز القومي للترجمة، ط الأولى، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م.

يكون من طبيعة اللانهائي المحدد لعلماء الرياضيات: سلسلة رياضية. تعتبر لا نهائية عندما تتشابه بواحد من أجزائها المكونة(١).

ففي سياق الأعداد الصحيحة مثلاً – لندع هذه المسلسلات اللامتناهية للأعداد المفصلة تمثل مسلسلة من الذوات الفردية في المطلق، وبين أي عددين صحيحين من الممكن إدخال مسلسلة من الكسور هي أيضًا لا متناهية، بحيث يعمل بناء مسلسلة الكسور الذي يرتبط بواسطته عددان صحيحان على أن يفسر أو ينتج من جديد بناء مسلسلة الأعداد الصحيحة. مثل هذه المسلسلة تصور ذاتها أو تفسر ذاتها، فهي لا متناهية، لا لأنها لا حد لها، ولكن من حيث بنيتها، أعني أن أعضاءها يفسر كل منها الآخر في نطاق بنية الكل، فحالات التفسير الذاتي هذه أو المسلسلة يمكن أن توجد، وليست مجرد صروح رياضية. مثل ذلك، كما يقول "رويس"، خريطة منخرطة بين أشياء رسمت لها خرائط، تنطوي على مسلسلة لا متناهية من الخرائط(٢).

ويعتبر "رويس" الملاحظ الذي يفهم الموقف وينظر إلى سلسلة الخرائط، لا يرى أية خريطة أخيرة، غير أنه يعرف لماذا لا يمكن أن تكون هناك خريطة أخيرة، وهكذا لا يرى تناقضًا أو عدم معقولية في لا نهائية السلسلة، وتشكل السلسلة نسقًا ممثلاً لذاته(٣).

---

(١) الفلسفة الأمريكية، لجيرار ديلودال ، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) تاريخ الفلسفة الأمريكية ، لهربرت شنيدر، ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٣) تاريخ الفلسفة " من بنتام إلى رسل" ، لفردريك كوبلستون ، ترجمة: محمود سيد أحمد، ٨/ ٤٠٩ ، ط: المركز القومي للترجمة، القاهرة عدد ١٣٣٠، ط الأولى سنة ٢٠٠٩م .

ويقيس "رويس" علي ذلك فكر الفكر، مثل المثل، ما ينبغي لما ينبغي، معرفة المعرفة، لأن مثل هذه الحالات عنده هي ببساطة حالات وجودية لمسلسلات مرتبة ترتيبًا رياضيًا سليمًا، فإذا عدنا لمسلسلات الأعداد المتساوية، فلنتمثل اثنين منها يحاولان أن يتصلا بواسطة حدود وسط (كسور) فالمسلسلة اللامتناهية للاتصال، وإن كانت تمنع الأعداد الصحيحة من أن تندمج في وحدة، فهي تعين مع ذلك على أن تصف وصفًا صحيحًا كيف أن الأعداد الصحيحة يرتبط الواحد منها بالآخر، وعلى ذلك فالأفراد ترتبط ارتباطًا ثلاثيًا في جماعة من التفسير (أ) يفسر (ب) لـــ (ج)، هذه الرابطة الثلاثية لا متناهية، وهي النمط الجذري للحقيقة[١]. وهذا يعني أن مجموعة الأفراد تفسر ذاتها بذاتها، مما يثبت أن اللانهائي، المطلق هو عقلاني، وموجود.

ويرى "رويس" أننا إذا طبقنا هذه الفكرة (الفكرة الرياضية لسلسلة لا متناهية) في الميتافيزيقا، فإن الكون يبدو سلسلة لا متناهية، يبدو كلاً لا نهاية له، يعبر عن غرض واحد أو خطة واحدة، وهناك بالتأكيد سلاسل تابعة ومترابطة، لاسيما السلاسل التي تشكل حياة الذوات المتناهية، غير أنها تنضم كلها داخل سلسلة واحدة موحدة لا متناهية لا يكون لها عدد أخير "معطى" بوصفه كلاً (مجموعًا) في المعنى الداخلي للفكرة الإلهية أو نسقًا مطلقًا من أفكار. ولا بد أن يعبر الواحد، كما يرى "رويس" عن نفسه في السلسلة اللامتناهية التي تشكل حياتها من تجربة خلاقة، وبمعنى آخر، لا بد أن يعبر عن نفسه في الكثير، ولما كانت السلسلة اللامتناهية هي التعبير التدريجي أو

(١) تاريخ الفلسفة الأمريكية ، لهربرت شنيدر ، ص ٣٢٤.

تحقيق لغرض واحد، فإن الواقع الحقيقي كله يشكل نسقًا واحدًا ممثلاً لنفسه(١).

وبهذا يبين رويس أن الواحد ميتافيزيقيًا يستطيع أن يعبر عن نفسه في سلاسل لا متناهية (منظمة جيدًا)، ولا تحتوي على تناقض كما قال "برادلي"، وأن التفكير يستطيع بالتالي أن يقدم تفسيرًا متماسكًا للعلاقة بين الواحد والكثير أو بين المطلق اللامتناهي الشامل والفرد المتناهي.

نستنتج مما سبق الصلة الوثيقة التي تجمع بين منطق "رويس" ومذهبه الميتافيزيقي، فإن الكيانات المنطقية التي اصطنعها "رويس" ما هي سوي دلالات ميتافيزيقية وكونية فسرت علاقة المطلق بالتجربة الفردية بل بالعالم في صورته الكلية، يقول أحمد الأنصاري في "مقدمة مبادئ المنطق" " الحقيقة أن علاقة النظرية المنطقية بالنظريات الميتافيزيقية، أو إقامة النظريات المنطقية على نظريات ميتافيزيقية، أو استنتاج كيانات ميتافيزيقية معينة بوصفها نتاجًا لهذه النظريات الميتافيزيقية مسألة لها مخاطرها، ويصعب إثباتها، فأي نقد للأسس الميتافيزيقية يهدم النظريات المنطقية التي قامت عليها، وأي نقد للنظريات المنطقية يهدد البناء الفلسفي القائم عليها، وبالتالي تفقد النظرية المنطقية استقلالها(٢).

(١) تاريخ الفلسفة "من بنتام إلى رسل" ، لفردريك كوبلستون ، ٨/ ٤٠٩.
(٢) مبادئ المنطق ، لجوزايا رويس ، ترجمة : أحمد الأنصاري ، ص ١٨ المقدمة .

المبحث الثالث
قضايا الميتافيزيقا عند جوزايا رويس

المطلب الأول: المطلق (الله) عند جوزايا رويس

المطلق عند "رويس" هو أساس الميتافيزيقيا، ويقصد به مبدأ الحقيقة الذي يسلم كل واحد منا بوجوده حالما يعترف بوجود الخطأ، الذي يستدعي نقيضه بالضرورة؛ لأنه يتعذر علينا بدونه أن نعي هذا الخطأ [١].كما أن المطلق عنده هو الفكر إذ يقول: "يجب أن توجد كل الحقيقة لوحدة التفكير اللامتناهي"[٢].

ويعتقد "رويس" أن المطلق مثل الأسس الميتافيزيقية الأولية، ليس فكرًا ثابتًا أو فارغًا، وإنما هو وحدة مفردة، وفي الوقت نفسه مليء بالأعداد المطلقة، ليس وحدة بسيطة، ولكن وحدة مركبة؛ فهو يتضمن أجزاء لا متناهية تعكس كل اللامتناهي، إنه ليس وحدة مجردة جامدة، فهو يتضمن أجزاء متغيرة وفعالية ذات أفكار واعية حية، كما أن المطلق في ذاته هو الوعي المتطور اللامتناهي، وهو إيجابي وليس سلبيًا، وتتمثل فاعليته في الكفاح؛ حيث يحقق الهدف الفكري اللامتناهي[٣]. وهذا يعني أن المطلق عند رويس هو الذات الإلهية التي تستغرق الذوات الفردية كلها، وأن الكون ككل، كوحدة واحدة، كمطلق، بمعني أن كل شيء يتحد في واحد أو في وحدة مركبة تحوي كل شيء.

---

(١) معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي ، ص ٣٣٤.

(٢) تاريخ الفلسفة "من بنتام إلى رسل" ، لفردريك كوبلستون ، ٣٨٧/٨.

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة ، ليوسف كرم ، ص ٢٤٤.

أدلة جوزايا رويس علي وجود المطلق "الله":

يستدل "رويس" على وجود المطلق بأدلة نجده يقدمها في مختلف مواضيع مؤلفاته، وليس في صورة مباشرة في مؤلف أو كتاب واحد، وفيما يلي عرض هذه الأدلة:

أولاً- الدليل المعرفي:

يرفض "رويس" الأدلة التقليدية علي وجود الله، ويبرهن علي المطلق بدليل جديد من معرفة الخطأ فيبدأ بالتساؤل عن معنى الخطأ وطبيعته، وعن المقصود بالأحكام الخاطئة، فيرى أنه لا حاجة لإثبات وجود الأخطاء، فالخطأ واضح في تجارب الحياة اليومية، وإذا ما تم الشك في ذلك فإن الشك نفسه يثبت وجود الأخطاء وأنها ممكنة، (والشك هو إمكان الخطأ)، فيفترض وجود الشروط المنطقية التي تجعل الخطأ ممكنًا، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ما هو الخطأ ذاته؟ وما المقصود به؟ [١].

يذكر "رويس" أن هناك ثلاثة تعريفات للخطأ، الأول منها يرى أن الخطأ هو ما ينفر منه الإنسان ويكرهه ولا يحبه، فيقول رويس: "غالبًا يكره الفهم العام مثل هذه الأمور – أي الأخطاء- لأنه يرى أنها أمور واضحة بذاتها منذ البداية، وربما قد يقبل الفهم العام أن يسأل عن وجود الله، عن أن يسأل عن كيف هناك خطأ، أو عن كيف يكون الخطأ في أي موضوع أمرًا ممكنًا" [٢]. لكن إذا سألنا الرأي العام ما الذي يجعل الحكم الخاطئ مكروهًا؟ تكون الإجابة "على اعتبار القول الخاطئ، لا بد أن يظهر خاطئًا، لكل عقل سليم

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ص ٣١٨، ط : الجمعية الفلسفية المصرية القاهرة.

(٢)الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس، ص٢٨١.

يكون عالمًا بحقائق الأمور" [١]. وإذا تم التساؤل: من صاحب العقل السليم؟ تكون الإجابة بأنه الشخص المثالي، ولكن ما الذي يجعل الفرد يتصور الشخص المثالي في هذه الحالة تصورًا صحيحًا؟ الواقع أن هذا التعريف للخطأ يقع في الدور[٢] المنطقي. لذلك ينتقل رويس إلى تعريف ثانٍ للخطأ وهو يقول رويس: بأنه(الخطأ) حكم لا يتفق مع موضوعه. ويلاحظ أن هذا التعريف واضح تمامًا، إلا بالنسبة لشيء واحد، وهو مسألة العلاقة المفترضة بين الحكم وموضوعه. يفترض التعريف بمنتهى الوضوح أن للحكم موضوعًا ما، يستطيع أن يتفق أو لا يتفق معه[٣].

إذن خلاصة الموقف، نقول: إن الأحكام تخطئ فقط، عند عدم اتفاقها مع موضوعها المقصود، ولا تستطيع أن تقصد موضوعًا ما، إلا إذا كان هذا الموضوع معروفًا للفكر الذي يقوم بإصدار الحكم، وتلك هي النتيجة النهائية لوجهة نظر الفهم العام. ولكن في هذه الحالة، يمكن القول بأن الحكم لا يكون خاطئًا إلا إذا كان معروفًا أنه خاطئ[٤].

وهناك تعريف ثالث للخطأ يرى بأن الأحكام لا تكون صائبة أو خاطئة خارج ذاتها، يقول رويس: "لا يكون الكلام الفارغ أو الخالي من المعنى

---

(١) المصدر السابق ،لجوزايا رويس ، نفس الصفحة.

(٢) الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ويسمي الدور المصرح كما يتوقف أ على ب وبالعكس، أو بمراتب ويسمي الدور المضمر كما يتوقف أ على ب ،وب على ج، وج على أ. ينظر: التعريفات ، للسيد الشريف الجرجاني ، ص٩٤ ، ط :مصطفي البابلي الحلبي، القاهرة، سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ، والمعجم الفلسفي، لمراد وهبة ، ص ٣١٤.

(٣) المصدر السابق ،لجوزايا رويس ، ص٢٨٥.

(٤) المصدر السابق ،لجوزايا رويس ، ص٢٨٦.

خاطئًا، إلا عندما يقع المتحدث في التناقض الذاتي، وإذا ما تم تجنب التناقض الذاتي، لا يمكن وصف الحديث الخالي من المعنى بأنه خاطئ، لأنه لن يكون له موضوع خارج ذاته، يكون ملزمًا بالاتفاق معه" (١).

ويقرر "رويس" بعد عرض هذه التعريفات أنه إذا تم تحليل سبب تناقض وعدم اتساق هذه التعريفات المختلفة لطبيعة الخطأ، بل واستحالة مجموعة من الأخطاء في ضوئها، يتضح أنها تستند على مسلمتين خاطئتين، الأولى: تفترض الوجود المستقل للأفراد، وعدم وجود صلة أو وحدة تربط بين أفكارهم، والثانية: تفترض تتابع الأحداث الزمنية، وانفصالها وعدم وجود ترابط بينها. ويرى "رويس" أنه إذا تم إسقاط هاتين المسلمتين، والقول بوجود (فكر شامل) يحوي كل الأفراد وموضوعاتهم وأحكامهم، ويكون في الوقت نفسه، كل التتابع الزمني حاضرًا أمامه في لحظة واحدة، فإن الخطأ يمكن تعريفه ويصبح ممكنًا باعتباره عنصرًا أو لحظة من حقيقة أعلى تعترف به، وتعتبره جزءًا منها(٢). فيقول رويس: "نستطيع ببساطة شرح وتوضيح العلاقة بين الفكر الشامل والعقول الفردية بالمثال التالي: فعندما يقول فرد من الناس: إن اللون الذي أمامي أحمر، والقول بأنه أحمر أزرق، يعد قولاً خاطئًا، فإنه يعبر عن وحدة شعورية كاملة. وعن وعي يحوي لحظة فكرية واحدة، ثلاثة عناصر تجمعها لحظة حدسية واحدة. هذه العناصر الثلاثة هي: أولاً إدراك اللون الأحمر، وثانيًا الحكم الذي يكون هذا الإدراك موضوعه ويستمد مصداقيته من اتفاقه بالموضوع، وثالثًا الحكم الخاطئ "هذا أزرق"، والذي كان موجودًا في هذا الفكر نفسه، وتمت مقارنته مع الخبرة المدركة، ثم

(١) الجانب الديني للفلسفة ،لجوزايا رويس ، ٢٨٧ص ، ٢٨٨.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ص ٣١٩، ٣٢٠.

رفضه بوصفه خاطئًا. فإذا ما تم النظر إلى هذه العناصر الثلاثة على أنها عبارة عن مجموعة من الأفعال الفكرية المستقل بعضها عن بعض، ولا يجمعها فكر واحد شامل، فإننا نواجه الصعوبات نفسها التي سبقت مواجهتها. إن وجود هذه العناصر ضمن فكر أعلى شامل هو ما يجعل العلاقة بينها واضحة" (١).

إذ إن الوعي الشامل عند "رويس" هو الذي يكمل المقاصد الناقصة لكل فرد، ويشكل العلاقات الحقيقية عناصر في الوعي الشامل، ويحقق مصداقية الحكم سواء كان خاطئًا أو صائبًا، وباختصار يصبح الخطأ ممكنًا بوصفه عنصرًا في حقيقة أعلى؛ لوعي يجعل الخطأ جزءًا منه، ويعترف عليه بوصفه خطأ (٢).

ويؤكد "رويس" علي أن وجود العقل الشامل هو الحل الوحيد الممكن لجميع الصعوبات، فيقول: "فإما أنه ليس هناك أحكام خاطئة، والقول بها لا يعد قولاً متناقضًا، أو توجد وحدة عقلية لا متناهية، تعرف كل حقيقة ممكنة"(٣).

و يبرهن "رويس" علي وجود هذا العقل الشامل اللامتناهي فيقول:" فالفرض بأن الخطأ موجود يعني وجود قدر لا متناه من الأخطاء الممكنة. لأنه إذا كان الخطأ ممكنًا، فإنه من الممكن افتراض أخطاء لا حصر لها، لأن الخطأ يكون ممكنًا لنا، إذا كانت لدينا المقدرة علي إصدار أحكام زائفة. ولكن لكي يكون الحكم كاذبًا، لابد أن يكون كاذبًا قبل أن يتم إصداره. فإذا كان

---

(١) المصدر السابق ، لجوزايا رويس ، ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق ، لجوزايا رويس ، ص ٣٠٣.

(٣) الجانب الديني للفلسفة، لجوزايا رويس ، ص٣٠٣.

الخطأ ممكنًا، فإنه موجود منذ الأزل. ويتضمن كل خطأ ممكن، حكما يكون موضوعه المقصود خارج ذاته، ويكون أيضًا في الوقت نفسه موضوعًا للحكم الصائب المناظر له، ولكن نلاحظ أنه لا يمكن أن يكون لحكمين موضوع واحد إلا إذا كان كلاهما حاضرين في فكر واحد.....لذلك يعني وجود الخطأ ضمنًا، وجود فكر واحد يضمه هو، ويضم الحكم الصائب المناظر له وموضوعهما في وحدة فكرية واحدة. ولأن أي منهما لا يكون صادقًا أو كاذبًا إلا بوصفه حاضرًا في فكر شامل واحد، فإننا لابد أن نفترض وجود فكر لا متناه، يحكم بالصواب والخطأ. ولكن هذا الفكر لابد أن يكون ذا وحدة عقلية واحدة، وليس مجرد مجموعة من الحقائق، لأن من الواضح أن الخطأ لا يكون ممكنًا فقط بالنسبة للحكم علي الموضوعات، وإنما يشمل أيضًا العلاقات بينها، ولذلك يجب أن تكون كل العلاقات الممكنة بين كل الموضوعات في كل مكان وزمان، حاضرة لهذا الفكر الشامل، لأن معرفة كل العلاقات في لحظة واحدة، يعني معرفتها في وحدة عقلية مطلقة، وبوصفهم عناصر فكر واحد"[١]. وهذا يعني أن الفكر الأعلى الشامل يضم كل الأحكام الصائبة والخاطئة وموضوعاتها، كما يكون هذا الفكر أيضًا علي معرفة كاملة بالعلاقات بين الموضوعات.

ويضع "رويس" بعد ذلك تعريفًا للخطأ فيقول: "إذن ما هو الخطأ؟ نجيب بأنه عبارة عن فكر ناقص، يكون معروفًا لفكر أعلى يشمله ويشمل موضوعه المقصود، ويعرف أنه قد فشل في تحقيق مراده الذي يكون متحققًا بالفعل في هذا الفكر الأساسي، ولا يكون للحكم أي موضوع خارجي، ولا يمكن وصفه

(١) المصدر السابق، لجوزايا رويس ، نفس الصفحة.

بأنه خاطئ. بدون هذا الفكر الشامل الأعلى [١].

ومعني هذا عند "رويس" أن الخطأ لا يمكن أن يكون خطأ بدون الوجود الفعلي لفكر تام "المطلق"؛ إذ كيف تكون الفكرة غير كاملة (خاطئة) حين لا تقارن بأي شيء؟ أو حين تقارن بشيء ليس فكرًا؟ إن الخطأ لكي يكون خطأ ينبغي أن يكون الفكر التام (الصائب) موجودًا[٢].

كما يري "رويس" أن الشروط التي تجعل الخطأ ممكنًا يلزم أن تكون واقعة بالفعل، وما دام القاضي اللامتناهي هو شرط ضروري لإمكانية الخطأ، فيجب أن يكون واقعًا بالفعل إذا كان الخطأ واقعًا بالفعل [٣]. ويعني هذا أن رويس يشترط لإمكانية الخطأ، وجود فكر شامل أعلى أو حقيقة مطلقة لا متناهية تتضمن الصواب والخطأ معًا، وتميز بينهما.

وعلاوة علي ذلك يعتبر "رويس" أنه حتى لو لم يكن الخطأ ممكنًا، فإمكانيته تكفي للبرهنة على الحقيقة المطلقة؛ لأن "الشروط التي تحدد الإمكانية المنطقية للخطأ يجب أن تكون هي نفسها حقيقة مطلقة" [٤].

ويوجز "رويس" ما توصل إليه في هذا الدليل المعرفي فيقول: "يجب أن يكون الوجود كله حاضرًا في الوحدة الشاملة للفكر اللامتناهي، ولا يمكن إنكار ذلك بأي حال من الأحوال؛ لأن الوجود يكون موجودًا، بسبب إمكانية صدور الأحكام الصحيحة عنه، وللسبب نفسه يمكن أن يكون موضوعًا لكل

---

(١) المصدر السابق، لجوزايا رويس ، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢)اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، لعزمي إسلام، ص ٦٤، ٦٥، ط :وكالة المطبوعات الكويت،ط الأولى.

(٣) تاريخ الفلسفة الأمريكية ،لهربرت شنيدر ، ص ٣٢٠.

(٤) الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس، ص٢٧٨.

الأحكام الخاطئة، ولذلك، ما دامت الأحكام الخاطئة والصحيحة، خاطئة أو صحيحة بوصفها حاضرة في الفكر اللامتناهي مع موضوعاتها التي تشير اليها، فإنه لا يمكن لوجود أن يوجد خارج العقل المطلق. إن وجودك ووجودي ووجود كل الناس، وكل الخير والشر، وكل حقيقة أو خطأ، وكل الأشياء الفعلية والممكنة، توجد كما هي موجودة في العقل المطلق، ومعروفة معرفة كلية له، وبالتالي تكون موجودة بصورتها الحقيقية فيه(١).

تعقيب:

يعد الاستدلال علي وجود الله (المطلق) عن طريق وجود الخطأ وإمكانه، دليلاً جديدًا ابتكره جوزايا رويس، إلا إنه لا يخلو من النقد حيث إن الخطأ مسألة مؤقتة وليست ضرورية، فليس من الضروري أن يخطأ الإنسان دائمًا، فهناك لحظات يحدث فيها الخطأ، ولحظات أخرى تكون خالية من الخطأ، وينتج عن هذا أن يكون وجود الله تعالى مؤكدًا في لحظات وجود الأخطاء، وغير مؤكد الوجود في اللحظات التي لا خطأ فيها، أي يكون وجود المطلق مؤقتًا وليس دائمًا، وعلي ذلك لا يصلح هذا الدليل للتدليل به على وجود الله في جميع الأوقات، إذ إنه دليل ناقص.

ثانيًا- الدليل اللامتناهي:

يستدل "رويس" أيضًا على وجود الله (المطلق) من خلال أنه غير متناهٍ؛ حيث يقول: "إنه توجد وحدة ضرورية بين المتناهي واللامتناهي، وبين الزمني والأبدي والعالم وكل أفراده، والواحد والكثير، والله والإنسان، ولا يتم ذلك من خلال عبوديتنا لله، وإنما من إحساسنا بوجود الله وحريته(٢).

---

(١) المصدر السابق ، لجوزايا رويس ، ص ٣٠٨.

(٢) العالم والفرد ، لجوزايا رويس ٢/ ٢٧٠.

ويرى "رويس" أن الذات الإلهية باعتبارها شخصًا أسمى يظهر نفسه في العالم، وله هدف يشتمل على كثرة لامتناهية من الأفراد المتناهية المعبرة من هدفه أو قصده الكلي (أو بوصفه إرادة مطلقة تهدف إلى تحقيق هدف مطلق لا متناهٍ)، والعالم هو ما يحقق هذا الهدف، وجميع الأهداف الإنسانية المتناهية هي أجزاء من هذا الهدف المطلق اللامتناهي، وفقًا لأن جميع الأفكار والأغراض لا تتحقق على نحو كامل إلا في الله (المطلق)، فإن الله هو الموجود المطلق والمحقق الكامل للحياة، وهو ليس شيئًا آخر غير عالمه، ولكنه حياة العالم ذاتها، ونحن نوجد في الله ونحيا ونتحرك(١).

فيقول "رويس": "إذا نظرنا لحياته من الناحية الأبدية تمثل الكل اللامتناهي الذي يشكل كل العمليات الزمنية اللامتناهية، ويدركها كلها باعتباره حياة واحدة، أي حياة الله ذاتها، فوفق نظرتنا يعد الله شخصًا لأنه وعي، والذات التي يدركها ذات يتحقق كمالها الأبدي من خلال كل المساعي الأخلاقية، ومن خلال كل عمليات التطور وارتباط كل الأنشطة التي تقوم بها النفوس المتناهية" (٢).

ويبدو أن "رويس" يناقش هذا الأمر من زاوية أن وجود الإنسان – بناء على التحديدات التي تحدده– إنما يفترض بل ويستلزم الوجود الفعلي لها هو غير محدود، أو للمطلق، وإلا لن يكون هناك معنى للقول بأن الإنسان

---

(١) النظرية الأخلاقية عند جوزايا رويس ، لأسماء عطا الله سويكر حسن ، ص٦٦ ، رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، سنة ٢٠٢٠م .

(٢) المصدر السابق ، لجوزايا رويس ، ٢٧١/٢.

محدود[١]. وهذا يعني أنه ينتج عن معرفة الإنسان غير الكامل المتناهي المحدود، معرفة بالكامل اللامتناهي، وغير المحدود (المطلق أو الله ذاته) .

ثالثًا- الدليل الكوني (وحدة الذات):

يستند "رويس" في هذا الدليل لإثبات وجود المطلق (الله) علي وجود العالم ومعرفته وإدراكه، وما في هذا العالم من دقة وجمال ونظام واتساق ووحدة، يقول رويس: " فطالما أن العالم الحسي عالم جميل، ورائع ومنظم، وعالم مهيب، فإن هذا الجمال وتلك الروعة والسمو والرفعة أشياء لا توجد إلا لمراقب يقدرها ويدركها، وإذا لم توجد لأجله أو تفوق إدراكه، فإنه لا يوجد إلا بالنسبة لعقل آخر أو بوصفها هدفًا مجسدًا لفكر أو عقل كلي أو ذات كلية للطبيعة"[٢].

ويعتقد "رويس" أن الكون بأكمله بما في ذلك عالم الطبيعة هو في حقيقته كائن حي واحد، هو عقل أو روح واحد عظيم، ويعتقد أيضًا أن هذا المذهب ليس غامضًا لأنه نتيجة تفكير دقيق يتفق تمامًا مع وقائع التجربة البشرية الفعلية وفروض العلم البشري، ويطلق "رويس" على هذا الروح الواحد العظيم أسماء مختلفة؛ فهو "الله"، وهو "المطلق" وهو "مفسر العالم"، وهو "اللوغوس"[٣] (أو الكلمة)، وغير ذلك من الأسماء [١].

---

(١)اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص٧٦.

(٢) روح الفلسفة الحديثة ،لجوزايا رويس ، ص ٣٩١.

(٣)اللوغوس: اللوغوس لفظ يوناني وهو اسم مشتق من الفعل legein أي يقول. ولهذا فاللوغوس قول وهذا القول قد يكون كلمة أو عبارة، ويطلقه هرقليطس على مبدأ أو قانون السيلان الدائم الذي تجري على أساسه أنواع التغير المتضاد في الوجود، ويجعله أفلاطون مستودع الصور العليا التي على أساسها تنشأ الأشياء، ووردت فكرة=

وبديهيًا أن فيلسوفًا مثل "جوزايا رويس" يعتقد أن قوام الكون عقل محيط بكل شيء، أو أنه نفس كبرى شاملة، يبدأ بحثه عن ذلك العقل الأكبر بالنظر إلى ما يشبهه في تكوين الإنسان، أي إنه يبدأ بحثه بالنظر إلى ذات الإنسان الشاعرة، أو عقله أو روحه أو نفسه، أو ما شئت من الأسماء التي تطلق على ما ليس بجسد في تكوين الإنسان(٢).

ولذلك يرى "رويس" أن أية ذات بشرية فردية تعتمد في وحدتها على عنصرين هما الذاكرة والخيال المألوف، فإذا لم يستطع المرء أن يميز بين ما يتخيله وما يراه أو يتذكره، فإنه سيكون مختل العقل، ولا يستطيع الشخص الذي ليست لديه ذاكرة على الإطلاق، أعني الذي لا يعي إلا إحساساته عندما تكون موجودة بصورة مباشرة ولا يعي شيئًا آخر، أن يعرف أو يفهم أي موضوع على الإطلاق (٣).

والذاكرة والخيال هما ما يجعلان من الذات كائنًا واحدًا رغم تعدد خبراتها. فلولا الذاكرة لما استطاع الإنسان أن يحتفظ بشيء من ماضيه، ولأصبح وجوده الشعوري مقصورًا على اللحظة الحاضرة وحدها، ولما كان الإدراك يتغير لحظة بعد الأخرى، فإن الإنسان إذا اقتصر على الإدراك

=اللوغوس في افتتاحية الانجيل الرابع (يوحنا) في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. ينظر: المعجم الفلسفي ،لمراد وهبة ، ص ٥٤٣، والمعجم الشامل المصطلحات الفلسفة ، لعبد المنعم الحفني، ص٧١٢ .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، لوليم كلي رايت ، ص ٤٦٥ ، وينظر : حياة الفكر في العالم الجديد ، لزكي نجيب محمود ، ص ٦٥.

(٢) المرجع السابق ، لزكي نجيب محمود ، ص ٦٥، ٦٦.

(٣) المرجع السابق ، لوليم كلي رايت، ص ٤٦٥.

الحاضر وحده، سوف يكون إنساناً جديدًا في كل لحظة، ولا يكون بين حالاته المتتابعة وحدة تربط الماضي بالحاضر حتى تتكون من هذه السلسلة المتتالية من الحالات إنساناً واحدًا بعينه وذاته، كما أنه لولا وجود التخيل لما أمكن استعادة ما عرفناه من قبل أو ادخرناه وحفظناه في الذاكرة(١).

وعلى الرغم من قول "رويس" بوحدة الذات أو النفس العارفة، إلا أن هذه الذات أو النفس لا تقوم بالإشارة إلى وجود أي جوهر روحي. فهي ليست جوهرًا قائمًا بذاته مستقلاً وخافيًا وراء المظاهر السلوكية المختلفة، ولا هي عنده كائن غيبي قائم في داخل الإنسان أو جوفه، وإنما هي عند رويس نوع من العلاقات بين أجزاء الخبرة، يجعلها إذا ما ارتبطت على هذا النحو ذاتًا شاعرة بذاتها ووحدتها واتصال وجودها. أو بعبارة أخرى هي العلاقات التي تربط بها الأجزاء على صورة معينة بحيث يتألف منها نسق فريد يكون من طبيعته أن يشعر بنفسه. وهكذا فالذات ليست سوى السياق الذي يقوم على علاقات تربط بين أجزاء الخبرة على نحو يجعلها شاعرة أو واعية بذاتها، أي إن الذات عند رويس تقوم على معنى التفرد في الكثرة أو الوحدة في التعدد(٢).

ويطبق "رويس" ما ذكره عن الذات العارفة، بالنسبة للذات المطلقة أي الله. فالله ذات أو عقل أو روح لأن هنالك بين عناصر الكون الأكبر علاقات من نفس طراز العلاقات الموجودة بين خبرات الإنسان، بحيث تجعل من ذلك الكون الأكبر وحدة شاعرة بنفسها(٣).

---

(١) حياة الفكر في العالم الجديد ، لزكي نجيب محمود ، ص ٦٦.

(٢) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، لعزمي إسلام ، ص ٦٩، ٧٠.

(٣) المرجع السابق ، لعزمي إسلام ، ص٧٥.

ويرى "رويس" أنه لاوجود إلا لذات واحد، وإننا لا نقصد إلا عالمه، عندما نتحدث مع بعضنا بعضًا....أو عن النجوم البعيدة هناك أو حوادث المستقبل، وعلاقة عقلي بموضوعاته علاقة غريبة، إذ لا يمكن أن أقصد موضوعًا في الخارج، أو أخطئ في الحكم عليه، أو حتي الشك في وجوده، إذا كان الفكر(العقل) وموضوعاته أجزاء من فكر أو عقل واحد أوسع، فأنتم مثلًا عبارة عن جزء واحد من ذات واسع يضمني ويضمكم، وإلا استحال علي مخاطبتكم أو التوجه لكم بوصفكم كائنات مستقلة في الخارج، فأنتم معكم كل وقائع الطبيعة الخارجية الواضحة والغامضة والنجوم في السماء والقمر وكل الأشياء الجميلة والحقيقة عبارة عن جزء من ذات واحد واسع، وإذا لم يكن الأمر هكذا فإنك لن تستطيع الحديث عن أية موضوعات خارجية، لأنه مهما حدثت فلن تجد إلا عالمك الخاص غير القابل للمعرفة، فإنه لن يكون لحديثك معنى، ولن تستطيع أن تبحث عن حل لمشكلتك إلا إذا كان هناك ذات واسع تعرف الحل منذ الأزل(١).

وهنا يوضح "رويس" أن الكون كله بما فيه من إنسان ونجوم وسماء وقمر وغيرها، تمثل أجزاء من وحدة واحدة يدلل جميعها علي وجود الله يقول رويس" فلا توجد لحظة فكرية قد يضمها عقل طفل صغير أو حمرة تكسو وجه فتاة شابة، إلا وتجسد شيئًا أو لمحة من لمحات هذا اللوجوس الإلهي"(٢).

ومن الملاحظ أن دليل "جوزايا رويس" هذا، يتفق مع احدى أدلة أوغسطين التي أوردها في كتبه للاستدلال علي وجود الله، إذ يستدل

(١) روح الفلسفة الحديثة ، لجوزايا رويس ، ص ٤٠٦، ٤٠٧.
(٢) روح الفلسفة الحديثة ، لجوزايا رويس ، ص ٤١٢.

أوغسطين علي وجود الله ببرهان النظام والجمال والتدبير الموجود في العالم الذي لا يصدر إلا من خالق مبدع هو الله ؛ فيقول في " مدينة الله" " فإن جرم الكون بكامله، هو مجموعة الصور والأشكال والصفات والحركات المنتظمة....، أجل كل ذلك لا يمكنه أن يكون إلا بواسطة كائن بسيط لا يتميز فيه الكائن عن الحياة، ولا العقل عن الحياة، ولا السعادة عن العقل"(١).

رابعًا- الدليل الغائي:

يرى "رويس" أن الكائن الحقيقي أو "الله" هو الموجود الحقيقي؛ لأن ما هو موجود أو كائن أو ما هو حقيقي هو التجسيد الكامل في صورة فردية أو في التحقيق الأخير الغائي للمعنى الداخلي للأفكار المتناهية.

ونحن لكي نفهم دليله الغائي هذا، ينبغي أن نذكر أولاً الفرق عنده بين المعنى الداخلي والمعنى الخارجي للأفكار، فالفكرة تبعًا لرويس هي (مثال للإرادة كما أنها عملية معرفة)، هي تحقيق جزئي بفعل قصدي إرادي، يهدف إلى بلوغ تصور أو مفهوم مناسب عن شيء ما.

وهو يقصد بالمعنى الداخلي للفكرة، ذلك (التجسيد الواعي للقصد، أو الغاية الموجودة في الفكر، فأنا إن لم أحقق إلى حد ما- الهدف أو الغاية من تفكيري، بأن نفكر بطريقة صحيحة، فلا يمكن القول بأن لدي موضوعًا للتفكير، وأنا حين أفكر بطريقة صحيحة، فلا يمكن القول بأن لي موضوعًا لتصوري، أو أن أوحد بينه وبين موضوع تصوري)، وهكذا فالمعنى الداخلي للفكرة إنما هو وظيفة ونتيجة للإرادة الإنسانية وللقصد الإنساني، لكن الأفكار تدل أو تشير إلى ما هو خارجها، ولا يكون جزءًا من مضمونها، وفي هذا

---

(١) مدينة الله ،لأوغسطين ، نقله إلى العربية ، الخور أسقف يوحنا الحلو، ١/ ٣٧٤، ٣٧٥ ، ط :دار المشرق، ط الثانية، بيروت، سنة ٢٠٠٦م .

الصدد يسأل "رويس"، كيف يتسنى للفكرة بوصفها فكرة أن يكون لها أيضًا معنى، يبدو خارجًا عن مقصدها الداخلي أو غايتها الداخلية؟ الإجابة عن ذلك تكون في ضوء معرفتنا بالمعنى الخارجي للأفكار، فالمعنى الخارجي للفكرة هو التجسيد الكامل للمعنى الداخلي للفكرة.

والله عند "رويس" هو جملة المعاني الخارجية بمعنى أنه الكائن الذي يكون بمثابة التحقيق المطلق لكل الإرادات الفردية، ومن ثم فهو الكائن الذي تسعى كل الإرادات الفردية لكي تحقق مقصدها، من خلال ذاته المطلقة(١). أي إن المطلق "الله" هو الغاية التي تسعي الموجودات إليه.

وفي هذا الدليل يبدو أيضًا تأثر رويس بفكر الفلسفة المدرسية، خاصة توما الإكويني الذي يستدل علي وجود الله "بالبرهان الخامس أو البرهان بوجود النظام" ويقول فيه: كل نظام يقتضي علة عاقلة منظمة، لأن كل نظام يقتضي حكمًا، والحكم إنما يصدر عن الحاكم. ونحن نجد أن الكون كله منظم لا في جزئياته، بل وفيه كله ككل، فكل ميسر لغاية، وكل الأشياء تتجه نحو تحقيق غاية واحدة(٢). وهكذا يستدل توما الإكويني علي وجود الله عن طريق أن الكون كله منظم بحيث يسعي لتحقيق غاية واحدة.

خامسًا- الدليل الأخلاقي:

يستند "رويس" في هذا الدليل على تصور جديد، أو صيغة جديدة له، فهو لا يعتمد فيه على وجود الخير أو المثل العليا، وإنما يعتمد على ملاحظة الحياة الأخلاقية وجوانبها، خاصة "مسألة وجود الشر" (٣).

---

(١) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص٧٧، ص٧٩.

(٢) فلسفة العصور الوسطي ،لعبد الرحمن بدوي ، ص ١٥٢.

(٣) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٢١.

ويشبه "رويس" في ذلك الفيلسوف المثالي " برادلي" الذي انتبه إلى مشكلة الشر واهتم بها، ورفض في كتابه "دراسات في الخير والشر" أية محاولة لاستبعاد وجود الشر عن طريق القول "بأن المعاناة والشر الأخلاقي وهم"، فهما على العكس، حقيقتان، ولذلك لا يمكن أن نتجنب النتيجة التي تقول إن الله يعاني عندما نعاني، ولا بد أن نفترض أن المعاناة ضرورية من أجل كمال الحياة الإلهية(١).

وقد كانت مسألة وجود الشر ونسبته إلى الله مسألة خلافية بين كثير من المفكرين والفلاسفة ، وخاصة الفلاسفة المسلمين، حيث عد "ابن سينا" الشر أمر عدمي وبالتالي غير موجود، وإنما الموجود هو الخير ،إذ قسم الشر إلي قسمين:

١-الشر بالذات وعبارة عن عدم مقتضي الطباع لما يناسبها من الكمالات الثابتة لها ، وأنواعها حسب طبيعتها ، وهذا النوع ليس بحاصل أصلًا حيث لا وجود له. وهو علي وجوه شر لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف، والتشويه في الخلقة، ويقال شر لمثل الشرك والظلم والرياء، وبالجملة الشر بالذات هو العدم.

٢-الشر بالعرض وهو عدم الكمال لما يستحق الكمال من الأشياء. وهذا النوع له وجود يطرأ علي الأشياء بسبب المادة التي يلحقها لأمر يعرض لها في ذاتها، أو لأمر طارئ عليها ،وذلك كأن يعرض للخلقة ما يمنعها من الوصول إلي كمالها فتجعلها أردأ مزاجًا وأعصي جوهرًا لقبول التخطيط والتشكيل فتصير الخلقة مشوهة ذميمة ،فليس التشويه لأن الفاعل قد حرم

(١) تاريخ الفلسفة، من "بنتام إلى رسل" ، لفردريك كويلستون، ٨/ ٣٨٧.

الخلقة كمالها أو منعها ،ولكن المادة نفسها لم تقبل فسبب النقص كامن في المادة وليس واردًا عليها من الفاعل ، وهنا يكون الشر في المادة المطبوعة وليس في القوة الطابعة(١). أي يكون الشر هنا عند "ابن سينا" عرضيًا وليس ذاتيًا. أما رويس فقد بين أن وجود الشر أمر حقيقي وواقعي، كما أن وجود الشر أمر لازم في عالمنا من أجل كمال الحياة الإلهية.

ويعتبر "رويس" أن وجود الشر لا يعد دليلاً على عدم خيرية العالم، وإنما يعد دليلاً على وجود الفكر الشامل، اللامتناهي، فملاحظة الإنسان لوجود الشر تعني القدرة على تصور الخير الكلي المطلق(٢). يقول رويس: "إن العالم في مجمله خير مطلق، وما دام الفكر اللامتناهي يجب أن يعرف كل ما هو مرغوب فيه، ومعرفته تعني معرفة للموضوعات الحقيقية للرغبة، فإن وجود أي مقدار من الألم والشر أو الجريمة في العالم، كما نراه لا يعد دليلاً على عدم الخيرية المطلقة للأشياء، بل يعد ضماناً لها، لأن رؤيتنا للشرور الخارجية يعد دليلاً على وجود شيء غير مرغوب لدينا، ولا نستطيع الحصول عليه، ومهما كان مقدار الشر الذي نراه فإنه لا يقلل من كمال اللامتناهي، ولا يؤثر فيه؛ لأن اللامتناهي لم يخلق هذا الشر(٣).

ويرى "رويس" أن إمكانية وجود الشر تتطلب ضرورة وجود هذا الفكر الشامل. فطالما أن وجود الشر يتطلب تمييزًا حقيقيًا بين الخير والشر، فلا بد

---

(١) الشفاء (الإلهيات) ،لابن سينا ، راجعه وقدم له: إبراهيم مدكور، تحقيق: الأب قنواتي و سعيد زايد، ص٤١٥، ٤١٦، ط : الأميرية القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٢١.

(٣) الجانب الديني للفلسفة ،لجوزايا رويس ، ص ٣١٦.

من وجود فكر شامل لا متناهٍ يعرف كلاً من الخير والشر، ويستطيع الإنسان أن يستدل على ذلك من مراقبة "طبيعة الفعل الأخلاقي"، فلكي يوصف الفعل بالأخلاقية، لا بد أن يحوي بداخله الشر مهزومًا أو الإرادة الشريرة مغلوبة على أمرها، كذلك بالنسبة لوجود الشر في العالم، فإنه يعد دليلاً على وجود فكر مطلق، ولا بد أن يتصف هذا الفكر بالخيرة المطلقة" (١).

ويؤكد "رويس" على وجود الفكر الشامل، بحجة براجماتية، وهي القول بوجود هذا العقل الشامل أو القاضي الخير، يؤدي إلى منفعة نفسية أو اجتماعية، فمن الأفضل الاعتراف بوجوده. فشعور الإنسان بعدم القدرة على تحقيق مثاله الأخلاقي غالبًا ما يدفعه إلى الشك، وقد يأمل في تحسن الأوضاع الاجتماعية، التي تمكنه من تحقيق مثله الأعلى. والواقع أنه في كلتا الحالتين حالة الشك، أو حالة رؤية الطريق لتحقيق المثل الأعلى، فإنه تكون هناك حاجة لوجود العقل اللامتناهي، حيث يحصل الإنسان منه على تأكيد بصحة وحقيقة مثله العليا، وبأن مثله الأعلى سوف يتحقق مهما طال الزمن، وبالتالي يشعر الإنسان بنوع من السلوى والعزاء، في ظل إيمانه بوجود هذا القاضي الأعلى، فالمطلق أو القاضي الأعلى لا بد أن يكون موجودًا" (٢).

ويعتقد "رويس" أن الإنسان في محاولة تحقيقه لهذا المثل الأعلى لا يحقق حياة إنسانية عادية، ولكنه يحقق حياة إلهية مقدسة، أو على حد تعبيره: "حياة إنسانيـــة تهب عليها رياح الله، ومعرفة الإنسان بأنه يخدم الله أو اللامتناهي،

---

(١) المرجع السابق ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٢٢.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص٣٢٢.

هي أعظم وأروع جزاء يدفعه دائمًا لفعل الخير"[١].

أهم سمات المطلق:

وبعد أن ينتهي "رويس" من البرهنة على صحة معرفتنا بوجود الله، يذكر أهم الأوصاف والصفات التي توضح مفهوم الله لنا، ومنها:

١-اتصافه بأنه موجود:

يصف "رويس" المطلق أو الله بأنه موجود؛ لأنه الحقيقة المطلقة التي نشعر بوجودها دائمًا، ويرى رويس أن هذا المعنى قد اعتدنا عليه وألفناه، وأننا نشعر بوجوده؛ لأنه موجود في كل مكان، وموجود فينا، ويرى رويس أن عدم معرفتنا بوجود الله فينا، هي قمة المأساة في حياة الناس، فقمة المأساة، وجودنا المتناهي، أنه يعود إلى ذاته باستمرار، مع أن ذاته لا تستقبله أو تدركه، بمعنى أن الله موجود فينا ومعنا، ومع ذلك لا ندركه، فنحن جزء من ذاته، ولذا فهو فينا دائمًا [٢].

كما أن المطلق عند "رويس" يستمد وجوده من صور الجهل الإنساني، فإذا كان الفرد لا يعرف حقيقة الوجود المطلق، فإن هذا يؤدي إلى اعترافه بأنه يدرك معنى الوجود المطلق، والحقيقة أن مجرد الاعتراف بوجود الجهل الإنساني، فإن هذا الاعتراف يؤكد في الوقت نفسه وجود الحكمة المطلقة، لأنه بدونها لا يمكن أن يكون الجهل موجودًا. فإذا كان الجهل حقيقيًا وموجودًا، فإن الله العارف بكل شيء حقيقي وموجود[٣].

---

(١) الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس ، ص ٣٣٣، وينظر: النظرية الأخلاقية عند جوزايا رويس ، لأسماء عطا الله سويكر حسن ، ص٧٠.

(٢) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص ٨٠، ٨١.

(٣)المرجع السابق ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٢٦.

٢-اتصافه بالوحدة: (وحدة الذات الإلهية):

يرى "رويس" أن الذات الإلهية وحدة واحدة بمعنى أنها تشتمل على كل الذوات أو النفوس الإنسانية؛ لأنها تتضمن التحقيق المطلق لكل الإرادات المفردة، ولأنها تتضمن جملة المعاني الخارجية للأفكار كما تتضمن كل ما له وجود، لأن ما له وجود خارجي، إن هو إلا أفكار في ذهن الذات العارفة التي هي جزء من الذات المطلقة. ولذا يذهب رويس إلى أن الذات المطلقة أو نفس العالم واحدة مطلقة تتضمن وتحتوي على الحقيقة الواقعية كلها بل وتكون هي كل الحقيقة. كما يتضمن وعيها، وعينا ويعلو عليه بطريقة غير متناهية أو محدودة، وهو يؤكد وجود هذه النفس الكلية أو روح العالم، أو الذات المطلقة، إذ لا مفر من القول بالنفس الكلية اللامتناهية، وإلا وقعنا في التناقض الذاتي(١).

٣-اتصافه باللامتناهي:

كذلك يصف "رويس" الله بأنه غير متناهٍ، وذلك بسبب حقيقته المطلقة في كل مكان وزمان، ففي كتابه "مفهوم الله" ينظر "رويس" إلى الله بوصفه وعيًا كليًا توجد فيه كل التجارب وكل الوقائع العقلية، كما ينظر إلى الإنسان بوصفه لحظة في الحياة المتحققة للمطلق.

كما ينظر "رويس" إلى المطلق على أنه ذات لا متناهية تحتوي على كل الذوات المتناهية، ويتجاوز الماضي والمستقبل وتدرك حقيقة الزمان، مثلما يدرك "موتسات" موسيقاه كلها دفعة واحدة لا تميز فيها بين قبل وبعد أو

---

(١) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام، ص٧٩.

ماضٍ ومستقبل على حد تعبير "رويس": "فإن البصيرة الإلهية ترى كل الأشياء في آنٍ واحدٍ بوصفها عالم الحقيقة في أبديته"(١).

٤-اتصافه بالعلم:

ومن صفات المطلق عند "رويس" العلم وهي صفة أساسية للمطلق عنده، ويرى "رويس" أن معرفة النتائج المنطقية لصفة العلم يتم من خلال معرفة المقصود بالعلم، أو بصفة العلم إذا ما تم نسبها للإنسان. فالمقصود بالعلم، أو أن المطلق عالم بكل شيء، أنه تكن لديه إجابة لكل تساؤل أو لكل سؤال. ومعنى التساؤل في مفهوم البشرية، يتضمن التفكير في وقائع أو خبرات ممكنة، لا يراها الإنسان حاضرة أمامه، لذلك يتضمن التساؤل انفصالاً بين الأفكار والموضوعات بين ما يفكر فيه الفرد، وما يعتبر حضوره ممكناً في الخبرة، أي انفصالاً بين الفكر والتجربة من جهة أخرى، تعني الإجابة على السؤال تحقق الأفكار في التجربة، وحدوث صلة مباشرة بالوقائع والخبرات، التي تعتبر مؤكدة لأفكار معينة، لذلك هناك عاملان أو عنصران للمعرفة الحقة، أو العلم الكامل، الأول وجود الواقعة أو الشيء القابل للملاحظة، والثاني وجود الفكرة المجردة لخبرة فعلية أو ممكنة. والواقع أن استمرار الفصل بين هذين العنصرين، يؤدي إلى استمرار التساؤل، أما إذا تم التغلب عليه، فإن من الممكن إجابة الأسئلة. فإذا ما تم افتراض وصف المطلق بالعلم الشامل، فإن ذلك يعني عدم وجود انفصال بين هذين العنصرين للمعرفة، فتكون كل وقائع خبرته، إجابة على كل الأسئلة المنطقية، وتكون كل أفكاره متحققة في خبراته. ولكن مع ذلك يستمر هذان العنصران، "الفكرة والتجربة"

(١) النظرية الأخلاقية عند جوزايا رويس، لأسماء عطا الله سويكر حسن ، ص ٨٣.

متميزين عن بعضهما البعض، فيكون لديه أفكار، ولديه شعور بعالم من المعطيات المباشرة للوعي، والحاضرة لديه كوقائع ملاحظة، ولكن الفرق بين علمه والعالم الإنساني، أن هذه الوقائع لا تكون كمجرد وعي بوجودها، وإنما تكون مرئية باعتبارها مشبعة لهدفه، وفي الوقت نفسه محققة لإجابة أي تساؤل إنساني، أو قد يطرحه فرد عادي من الأفراد، فيرى رويس أن المطلق تتحقق له إمكانية الإجابة على كل التساؤلات، حتى ما يتعلق منها بالأسباب؛ لأنه تكون لديه وحدة "الفكر والواقع"، ويكون مالكًا للعالم(١).

إذن العلم صفة أساسية عند "جوزايا رويس"، وتعني أن الله عالم بكل شيء، وأن علم الله ليس كعلم الإنسان، وهنا يبدو تأثر رويس بالفكر المسيحي واضح" الله كلي المعرفة. إنه يعرف كل شيء، كل ما هو ممكن، كل ما هو واقع، كل الأحداث، كل المخلوقات، هو إله الماضي، والحاضر، والمستقبل. إنه علي علم تام بكل التفاصيل في حياة كل كائن في السماء، وعلي الأرض وفي الجحيم " يعلم ما هو في الظلمة" (د ٢١: ٢٢). كما أن الله مرتفع عن أحكم حكماء البشر، لا يعرف أي منا ما ستجلبه الأيام، لكن المستقبل مكشوف أمام عينيه التي تعلم كل شيء. يجب أن تملأنا معرفة الله غير المحدودة بالرهبة المقدسة. لا يوجد ما نفعله، أو نقوله، أو نفكر فيه، يفلت من نظر ذاك الذي معه أمرنا "في كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين" (أ م١٥: ٣) (٢).

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٣٤.

(٢)صفات الله ،لآرثر بينك، ترجمة: إيهاب فاروق، المحرر العام: سامي فوزي، ص٢٥-٢٩ ، ط: سلسلة الكلاسيكيات المسيحية، ط الأولى سنة ٢٠١٤م .

٥- اتصافه بالإرادة:

وأيضًا يتصف المطلق عند "رويس" بالإرادة، وتأتي كصفة مستنتجة عن صفة العلم الشامل، إذ يؤكد رويس على أن صفة الإرادة ملازمة للعلم، وتعتبر عنصرًا من عناصر الخبرة المطلقة أو المعرفة المطلقة، بل وتعتبر الإرادة هي العامل الجديد، التي تحصل منه وحدة الوعي المطلق على وحدتها وتفردها. ويبين رويس أن الفهم الصحيح لمعنى الإرادة، يؤكد أنها عنصر ضروري للخبرة المطلقة؛ لاعتمادها على الانتباه(١). إذ إن جوهر الإرادة عند "رويس" ليس الاختراع أو الإبداع وإنما الانتباه. فإذا ما تم تعريف الإرادة بأنها عملية تتضمن الانتباه لأحد الموضوعات، أو تفضيل موضوع على آخر فإن صفة الإرادة تعتبر صفة ضرورية للمطلق بوصفها عنصرًا ضروريًا للخبرة الكلية(٢).

كما يعتقد "رويس" أنه بدون الإرادة كان لا يمكن لأفكار المطلق أن تتحقق؛ لأن التحقق قد يحدث بسبب الاختيار والانتباه الانتقائي لهذا العالم، من بين سلسلة من العوالم الممكنة. كذلك تمثل الإرادة جانبًا من الوعي، يرتبط بكل جزء من أجزائه وبكل واقعة فيه، ويجسد أفكاره في وقائع باطنية معينة، ولا يعني ذلك أن المطلق يفكر أولاً، ثم يرغب أو يريد تشكيل أفكاره في تجربته، وإنما يعني تضمن وحدة الوعي المطلق لمجموعة من الموضوعات المباشرة التي تحقق فيه أفكارها. وتريد تأمين هذا التحقق في محتوى واحد للخبرة الكلية، بحيث لا يكون هناك موضوع، يمكن أن يتم التفكير فيه، ولا يكون بحوزته، أي لا يكون لديه رغبة غير مشبعة، أو فكر

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٣٥.

(٢) المرجع السابق ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٣٦.

غير متحقق. إن الإرادة وحدها هي القادرة على تحقيق محتوى واحد للخبرة الكلية، ولئن كانت طبيعة الفكر تتطلب وجود أفكار ممكنة، ومهما تقدم الخبرة تظل هناك هذه الإمكانية للأفكار، فإن الانتباه يعد قادرًا على جعل الوعي الذاتي مكتملاً، لذلك كمال واكتمال الوعي يتضمن عنصر الإرادة(١).

وقد أكد "رويس" على ضرورة وحدة العقل والإرادة، فليس هناك ما يسمى عقلاً مستقلاً يحوي عالم الأفكار، وليس هناك إرادة مستقلة تحوي عالم الأفعال، وبالتالي جاء المطلق عند رويس متصفًا بالمعقولية الشاملة والإرادة المطلقة(٢).

وقد جاء وصف الله بالإرادة في الكتاب المقدس: "بما أنه ليس من المعقول أن يكون الله قد خلق العالم مرغمًا (لأنه ليس هناك من يرغمه علي القيام بعمل ما) إذًا فهو مريد، ولذلك قال الوحي: " كل ما شاء الرب صنع في السماوات وفي الأرض، في البحار وفي كل اللجج" (مزمور١٣٥:٦)، وقال أيضًا: "الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته" (أفسس١١:١)(٣)وهكذا يبدو تأثر رويس بعقيدته المسيحية.

٦- اتصافه بالمحبة:

ويوصف المطلق عند "رويس" بصفة المحبة، إذ يستنتج رويس من صفة الإرادة صفة المحبة أو ما يسميه اللاهوت التقليدي "بالحب الإلهي". فإذا كان الانتباه عنصرًا كامنًا في الإرادة، ويتصف الوعي المنتبه بالإرادة، فإن طبيعة الانتباه، تظهر صفة المحبة، كصفة ضرورية لهذا الوعي، خاصة عندما

---

(١) المرجع السابق ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٣٧.

(٢) مبادئ المنطق ، لجوزايا رويس ، ص ١١ المقدمة.

(٣) الله بين الفلسفة والمسيحية ، لعوض سمعان ، ص٨ ، ط : الأولى سنة ١٩٩١م.

يختار موضوعات معينة، ينتبه إليها، ولا تكون أسباب الاختيار واضحة في الموضوعات التي تم اختيارها. وبذلك يصبح الموضوع المحبوب عبارة عن موضوع ملاحظ في الواقع، ومعروفاً بوصفه تجسيدًا لأفكار معينة، ولكنه يكون مفضلاً ومرغوبًا دون سبب واضح للوعي الذي انتقاه، ولا يكون الوعي مدركًا للخصائص والصفات التي جعلت الموضوع المحبوب مفضلاً عن غيره(١).

يقول "آرثر بينك" أحد علماء اللاهوت:" الله نفسه قدير، ليس تحت إلزام لأحد، هو قانون نفسه، يعمل دائمًا بحسب مسرته الملوكية. بما أن الله قدير، وبما أنه محبة، فهذا يستتبع بالضرورة أن تكون محبته قديرة. ولأن الله هو الله، يفعل ما يريد، ولأنه هو محبة فهو يحب من يشاء "(٢). ويتبين من هذا مدى تأثر جوزايا رويس بالفكر المسيحي اللاهوتي.

تعقيب:

بعد هذا العرض لأدلة وجود المطلق وصفاته عند "رويس"، نستطيع أن نلحظ أنه لم يأتِ بأدلة جديدة – ما عدا الدليل المعرفي– حيث عرض لنفس الأدلة التقليدية لإثبات وجود الله بصورة غير مباشرة متأثرة فيها بالفكر اللاهوتي المسيحي، والفلسفة المثالية، والبراجماتية إلى حد ما، كما أن مفهوم الله عند ""رويس قد جاء معبرًا إلى حد كبير عن إله الفلسفة وإله المسيحية. فإذا كان الإنسان يدرك المطلق " الله" من معرفة الصواب والخير، ومن

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) صفات الله ،لآرثر بينك ، ص١٠٩، ١١٠.

مراقبة الوعي الباطني، أي يعرفه من الداخل وليس من الخارج، ومن مراقبة العمليات الفكرية للوعي، فهو إله المثالية، وإن كان يتصف بأنه موجود ولا متناهٍ فهو إله المسيحية. والحقيقة أن مفهوم "المطلق" عند "جوزايا رويس"، جاء حاويًا ومعبرًا عن مفهوم الله كما ظهر لدى أصحاب الفكر المثالي والفكر البراجماتي من جهة، وكما ظهر في اللاهوت المسيحي القديم والحديث من جهة أخرى[١].

****

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص ٣٣٨.

المطلب الثاني: ميتافيزيقا المعرفة عند رويس

تعد دراسة المعرفة مسألة جوهرية حتى لدراسة الوجود نفسه وفهمه فهمًا عميقًا وشاملاً. إذ إن علينا فيما يقول كانط أن نفحص ملكة المعرفة قبل أن نبحث في الوجود الحقيقي للأشياء، إذ "علينا أن نفحص الأداة قبل أن نعهد إليها بالعمل، فننظر فيما إذا كانت قادرة على القيام بعملية المعرفة أم لا". ويدلنا ذلك على وجود صلات قوية وارتباطات وثيقة بين "الأنطولوجيا" (الوجود) والإبستمولوجيا (المعرفة). ذلك لأن البحث في الطبيعة الحقيقية للأشياء يستلزم البحث في قدرتنا على معرفة هذه الأشياء، ولما كانت قوى الإدراك البشري سواء أكانت الحواس أم العقل، تتجه في بداية الأمر إلى العالم الخارجي الذي تقتضي حياة الإنسان أن يلائم بينه وبين نفسه، فقد نشأ البحث في الوجود (الأنطولوجيا) قبل البحث في المعرفة (الإبستمولوجيا). وعندما فرغ الإنسان من تأمل الموجودات التي تزخر بها البيئة من حوله، أخذ يتأمل بذاته وقدراته وملكاته محاولاً الكشف عن أسرارها، وعلى هذا النحو كان ظهور مبحث الوجود سابقًا على معنى المعرفة، لكنهما معًا مبحثان ميتافيزيقيان(١).

والمعرفة عند "رويس"، بالرغم من كثرة تفصيلاتها، لم يعرضها في مجموعة مستقلة من المحاضرات، كما فعل في دراسته لمفهوم الوجود، وإنما جاء عرض جوانب من النظرية بصورة مجزأة في مواضع مختلفة من كتبه وعلى مراحل زمنية مختلفة، وبخاصة في كتابه "العالم والفرد" بجزأيه، وإلى حد ما في كتـــابه "الجـــانب الديني للفلسفة"، وقد جاءت نظريته في المعرفة

(١) مدخل إلى الميتافيزيقا ،لإمام عبد الفتاح إمام ، ص ٢٥.

متداخلة مع مذهبه الفلسفي[١].

وتقوم فلسفة "رويس" على إعطائها عملية المعرفة وضعًا متميزًا في تحديد وتعريف الحقيقة عنده. فطبيعة الكائن مثلاً ينبغي تحديدها عنده أو تعريفها من خلال توضيح عملية أن يكون ذلك الكائن معروفًا، وبهذا يربط رويس بين المعرفة وبين الميتافيزيقا وبعبارة أخرى يجعل المعرفة مدخلاً وتمهيدًا للميتافيزيقا[٢]. وهنا نتساءل: ما مفهوم المعرفة عند رويس؟

مفهوم المعرفة عند جوزايا رويس:

المعرفة عند "رويس" هي ما نصل إليه من أفكار وحقائق بعد مرحلة الشك. والشك في فلسفة رويس مهمة يلجأ إليها الفيلسوف، لا لنقض الحق ذاته، بل لتنفيذ ما يعتقد الناس أنه حق، مع أنه لا يكون صوابًا. أي إن الفيلسوف ينقد أفكاره ليتبين ما هو صحيح منها وما هو غير ذلك، بغرض الوصول إلى اليقين المنشود[٣].

واليقين الذي يهدف إليه "رويس" بعد مرحلة الشك، ليس هو إدراك الذات أو" الكوجيتو"[٤] كما فعل "ديكارت"، بل هي حقيقة يقينية لا يمكن الشك في

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ،لأحمد الأنصاري ، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص ٦٢، ٦٣.

(٣) حياة الفكر في العالم الجديد ، لزكي نجيب محمود ، ص ٧٠.

(٤) الكوجيتو: لفظ لاتيني معناه " أفكر" ، والكوجيتو الديكارتي هو اختصار للعبارةCogito ergo sum–أنا أفكر فأنا إذن موجود، وسمي كذلك لأنه يبدأ بفعل كوجيتو اللاتيني بمعني أفكر، ومعناه إثبات وجود النفس من حيث هي موجود مفكر، فالإنسان يستطيع أن يشك في كل شيء ما عدا أنه يشك (فالشك تفكير والتفكير وجود)، وأنا موجود ما دمت أفكر. ينظر: قراءة للمصطلح الفلسفي ، لصفاء عبد السلام، ص٤٤.

صحتها، وهي: "إن هناك فرقًا بين حالتي الصواب والخطأ". إذ إن الشك يعني اعتراف الإنسان بإمكان الخطأ، وإمكان الخطأ في ذاته دليل على ضرورة وجود الصواب(١).

وإن لم يكن هناك هذا الفرق بين الصواب والخطأ لما كان للشك معنى عند الإنسان، فإن تبين له فيما بعد عن أفكاره عن العالم صحيحة، كان ذلك برهانًا قاطعًا على وجود هذا الفرق، وإلا لما عرف كيف يثق بعد البحث، أن فكرة من أفكار صواب كذلك يكون نفس البرهان القاطع على وجود الفرق بين الفكرة الصائبة والخاطئة، لو أنه انتهى من بحث أفكاره على أنها خاطئة، ويعني ذلك أن الفرد إذا شك في صحة أفكاره، ثم علم بعد ذلك أن أفكاره صواب أو أنها خاطئة، ففي كلتا الحالتين برهان على أن هناك ما يميز الخطأ عن الصواب، إذن يعتبر وجود الفرق، حقيقة ضرورية مطلقة، لا يتطرق لديها شكك، لأنها نتيجة تنتج من كلتا الطريقتين معًا، طريق الإثبات وطريق الأفكار(٢).

وعلى ذلك فالحقيقة التي يتفق كل الناس على صدقها، والتي تعتبر حقيقة يقينية يبدأ منها التفكير وهو مطمئن، هي "أن هناك فرقًا بين حالتي الصواب والخطأ"، وليس الأمر كما يظن من ينكرون وجود حقائق يقينية مطلقة. فإن أشد الناس إنكارًا للحق المطلق، يثبتون الحق المطلق بإنكارهم إياه. فالإنسان

---

(١) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص ٦٣.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص ١٠٢، وينظر: حياة الفكر في العالم الجديد، لزكي نجيب ، ص ٧٠.

حين يقول: "ليس هناك حق مطلق" ستكون هذه العبارة نفسها حقيقة مطلقة طالما هو نفسه مقتنع بصحتها، وكأنه يقول في هذه الحالة: "إنه ليس هناك حق مطلق إلا عبارة واحدة، هي قولي بأنه ليس هناك حق مطلق" (١).

ويرى "رويس" أن إمكان الخطأ يستلزم وجود الصواب، لأن الخطأ هو فكر يصبو إلى أن يكون فكرًا تامًا صحيحًا إزاء الموضوع الذي يختاره، وأنه عن طريق المقارنة وحدها بين الفكر غير التام والفكر التام، يمكن معرفة أن الفكر غير التام هو فكر خاطئ (٢).

كما يعتبر "رويس" أن الحكم المفرد لا يكون خاطئًا، ولا يمكن وصفه بأنه خاطئ إلا إذا كان جزءًا من فكر أعلى شامل، يعطي لهذا الفكر موضوعه الكامل، ثم يقارنه به، ويحكم بأنه خاطئ، وإلا ظل هذا الفكر المفرد مجرد حالة عقلية كاذبة، وليس لها موضوع، وبالتالي لا تمثل فعلاً فكريًا كاملاً، ولا يمكن أن تصبح حكمًا. من جهة أخرى لا بد أن يحوي هذا الفكر الأعلى الحقيقة المقابلة لهذا الخطأ، والذي تتم مقارنته بها. فالفكر الأعلى هو الحقيقة الكاملة التي بدونها لا يمكن لحكم ما أن يكون خاطئًا(٣).

وينتهي "رويس" من ذلك إلى أن الشك لم يكن مرحلة ضرورية لليقين، أو يمكن الانتقال منه إلى اليقين، وإنما اعتبر أن وجوده ضروري مستمر، فلقد تبين أنه هو ذاته جوهر اليقين، بما أن الشك ذاته يستحيل منطقيًا بدون مسلمة وجود العقــل المطلق الشامل، فالشك ذاته (إمكان الخطأ) أحد طرق الإيمان،

---

(١) المرجع السابق، لعزمي إسلام ، ص ٦٤.
(٢) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص ٦٤، ٦٥.
(٣) الجانب الديني للفلسفة ، لجوزايا رويس ، ص ٣٠٧.

وبرهان على وجود الحقيقة المطلقة(١).

ومن الجدير بالذكر أن شك "رويس" شك منهجي وليس شكًا مطلقًا، إذ إن الشك عنده وسيلة للوصول إلى غاية معينة وليس غاية بذاته، وغايته هي الحقيقة واليقين والدليل علي ذلك أن رويس يعترف بوجود حقيقة مطلقة رغم اعتماده على الشك بصورة كبيرة، فالشك عنده وسيلة لبلوغ اليقين، ذلك أن "الشك إذا ما بلغ أقصى مدى، يؤدي هو نفسه إلى اليقين، إذ إنه يفترض وجود خطأ في الأحكام، ومجرد اعتراف الإنسان بالخطأ، هو في ذاته دليل على الصواب" (٢).

وهنا يظهر تأثر "رويس" "بديكارت" في اعتماده على الشك بصورة كبيرة في البحث عن الحقيقة، بل اعتباره أن الشك ذاته دليل على وجود اليقين والحقيقة، فمن الشك تخرج الحقيقة، ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن" للإمام الغزالي"(٣) فضل السبق في استخدام الشك المنهجي يقول حمدي زقزوق " والمواقف التفصيلية لحركة الشك الديكارتية....نجدها بعينها عند الغزالي مع

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، لأحمد الأنصاري ، ص ١٠٧.

(٢) المصدر السابق ، لجوزايا رويس ، ص ١٦.

(٣) الغزالي: هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، ولد سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٧م، ببلدة طوس بخراسان في فارس، وتوفي بها سنة ٥٠٥هـ/١١١١م، يلقب بحجة الإسلام لمناهضته لبعض أفكار الفلسفة اليونانية ولآراء الباطنية. اهتم ببيان قصور العقل عن إدراك كل شيء. فأنكر السببية بين المخلوقات التي تستمد من خالقها الوجود والحركة. ومن مؤلفاته "مقاصد الفلاسفة"، و" تهافت الفلاسفة"، و" معيار العلم"، و" محك النظر"، و" المنقذ من الضلال"، و" إحياء علوم الدين"، و" الاقتصاد في الاعتقاد". ينظر: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطي ، لعبده فراج ، ص ١٢٥، و معجم الفلسفة ، لمحمود يعقوبي ، ص ٢١٩ .

اختلاف يسير، وإذا جاز لنا أن نرمز لشخص الإنسان بدائرة فإننا يمكن أن نقول: أن حركة الشك تبدأ إلى حد ما عند محيط الدائرة، عند شهادة الحس، لكي تندفع بعد ذلك في نهاية الأمر إلى مركز الشخص حيث يوجد كل يقين لدي الإنسان جذوره" (١).

ولكن يختلف موقف "رويس" من إمكان الخطأ (الشك) عن موقف الفلاسفة البراجماتيين، فالفيلسوف البراجماتي مثل "وليم جيمس" أو "بيريس" يرى أن الاعتقاد يمكن فهمه على أنه خاطئ إذا جاء ما يتم أو يقع في الخبرة الحسية على خلاف توقعات الإنسان إلا أن مجرد إمكان الخبرة المواتية ليس كافيًا عند رويس، فما لم تكن هناك فكرة كاملة (أو صائبة) بالفعل فإن أي اعتقاد من الممكن ألا يكون خاطئًا(٢). الأمر الذي يعكس مثالية رويس.

أنواع المعرفة عند جوزايا رويس:

يوجد عند "رويس "نوعين من المعرفة: المعرفة بالإدراك المباشر، والمعرفة بالوصف، ويعد التمييز بينهما من أكثر الخصائص المميزة لنظريات رويس.

فالنوع الأول: "المعرفة بالإدراك المباشر" هي المعرفة التي تنشأ نتيجة للخبرة، سواء بموضوعات خارجية أو إحساسات داخلية. مثل معرفة الشخص بأن الورقة بيضاء حين يدركها ببصره، أو مثل الإحساس بألم يحدث في الأسنان، وهي معرفة تعتمد على الخبرة الشخصية، ولذا فهي

---

(١) المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، لمحمود حمدي زقزوق ، ص ٨٥ ، ط : دار المعارف القاهرة.

(٢) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص ٦٥.

بالتالي مما لا يمكن نقلها من شخص إلى آخر. إذ كيف ينقل الإنسان ألمًا أحسه أو جمالاً أو لونًا انطبع على شبكية عينه إلى شخص آخر؟

إن الخبرة نفسها لا تنتقل من شخص إلى آخر، ولا يمكن بالتالي أن يحس الفرد بنفس الألم الذي يحس به شخص آخر في أسنانه مثلاً(١).

ويذهب "رويس" إلى أنه إذا كانت عقولنا منفتحة لبعضها البعض الآخر انفتاحًا مباشرًا، كما تكون إذا كان التخاطر (توارد الخواطر) صحيحًا، فإننا نستطيع أن نشارك بصورة مباشرة في عملية الإدراك، غير أن الأمر ليس هكذا. وبالتالي فإننا نكون مجبرين على أن نركز على إشارات معينة تصف إدراكنا المباشر، حتى يستطيع الآخرون معرفته، ويكون التواصل بيننا ممكنًا(٢).

ويؤكد "رويس" علي أن اعتراف الإنسان، بوجود الجوانب التقديرية للأفراد، لا يمكن أن يتصف بالمعقولية، إلا إذا كان مؤمنًا بأنه بالرغم من استقلاله عن الآخرين يشترك معهم في الحياة العضوية للذات الواحد(٣). يقول رويس: "حقيقة أننا لكي نتشارك في الزمن والخبرة لابد أن نشترك في حياة عضوية مشتركة تحيا في الروح الواحد، فهو الذي يشعر بنا، ويعمل من خلالنا، ولا توجد صغيرة ولا كبيرة من حياتنا، إلا وتخصه، إلا أن مشاعرنا ووقائع حياتنا الباطنة لا تخصه أو تكون جزءًا منه إلا إذا تم إدراكه في هيئة

---

(١) المرجع السابق ، لعزمي إسلام ، ص ٦٥، ٦٦، وينظر: حياة الفكر في العالم الجديد، لزكي نجيب محمود، ص ٧٢.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ، لوليم كلي رايت ، ص ٤٦٩.

(٣) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري، ص ١١٠.

أو حدود ذواتنا المتناهية ولحظات حياتنا المختلفة"[١]. وهذا يعني اعتراف رويس بوجود عالم يسمي "عالم التقدير" تتشارك فيه الأفراد وتتبادل الخبرات وهو العالم الحقيقي.

أما النوع الثاني: "المعرفة بالوصف" فهي التي يعبر عنها بكلمات اللغة وعباراتها، فاللغة هي وسيلتنا الأساسية لهذا التواصل، فالكلمات هي رموز لأفكار يمكن التعرف عليها بسهولة، ويمكن توصيلها ونقلها للآخرين؛ لأن هذه الأفكار نظمتها أشكال ومقولات، مثل: المكان، والزمان، والعلية، والعدد، فدرجة معينة من اللون الأحمر مثلاً، يمكن أن تعطى رقم "٣٦" في لوحة ألوانك، ويمكن لمكان معين أن يأخذ "٢" قدم في الطول وقدم في العمق، و"١٦" قدم في العرض[٢]. إلا أن ما نعبر عنه بألفاظ اللغة أو إشارتها لا ينتقل إلى الغير إلا وصفًا للخبرة، بينما الخبرة نفسها لا تنتقل، ولا يمكن التعبير عنها تعبيرًا كاملاً[٣]. يتبين من هذا أن الخبرة الشخصية لا يستطيع الفرد أن ينقلها إلى الآخرين، وإنما ينقل إليهم فقط إشارات ورموز تدل عليها.

علي سبيل المثال حاول أن تصف صديقك لشخص غريب من السهل نسبيًا بالنسبة لك أن تخبره عن طوله بالقدم أو بالبوصة، وعن وزنه بالرطل، وتستمر في وصفك حتى يستطيع الشخص الغريب أن يتعرف على صديقك عن طريق خصائصه الجسمية. ومن الصعب جدًا أن تصف صديقك حتى إن الشخص الغـريب يستطيع أن يـدرك سمـات شخصيته التي جعلته عزيزًا

(١) روح الفلسفة الحديثة ، لجوزايا رويس ، ص ٤١٨.
(٢) المرجع السابق ، لوليم كلي رايت ، ص ٤٦٩، ٤٧٠.
(٣) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص ٦٦.

عليك[١].

وهكذا الحال في سائر المدركات، فلكي يتبادل الناس المعارف بينهم، تراهم يلجؤون إلى وصف ما يمكن وصفه مما يعلمونه، على أن يبقى دائمًا في نفوسهم ما يعلمونه جزء هو إدراكهم المباشر الذي يحسونه من الشيء موضوع علمهم، دون أن يستطيعوا نقله إلى سواهم، يختار الناس في تبادلهم العلم بالأشياء جوانبها التي يمكن قياسها، ويمكن وصفها، ومن ذلك يتكون "علم" بالعالم من هذه الجوانب الممكنة الوصف وحدها[٢]. وهذا يشير عند رويس إلى وجود "عالم الوصف " وإن كان هو عالم واقعي وليس وهمًا ولا خداعًا، لكنه مع ذلك هو أقل مرتبة عن عالم التقدير.

والمعرفة بالوصف عند "رويس" هي التي تقوم عليها، وتعتمد المعرفة العلمية؛ لأن المعرفة العلمية هي المعرفة بالقوانين العامة التي تنتهي إليها من الملاحظة والتجربة. ولما كانت الملاحظة والتجربة تكونان خبرات الإنسان الشخصية، إذن يكون التعبير عن الخبرة ناقصًا؛ لأنه يصح مجرد وصف لها، وليس تعبيرًا كاملاً عن الحقيقة نفسها[٣].

والعلوم الطبيعية على اختلافها من هذا النوع من المعرفة الذي يتناول من الأشياء ما يوصف ويترك منها ما يستحيل نقله؛ ولذلك فهي تتناول من الأشياء ظواهرها التي يمكن تصنيفها وقياسها ومشاهدتها، وإجراء التجارب عليها.. فمثلاً اللون الأخضر الذي ينطبع على عيني عند رؤية الشجرة لا يمكن نقله إلى سواي، لأنه إدراك مباشر، وكل ما أستطيعه في علم الطبيعة

---

(١) المرجع السابق ، لوليم كلي رايت ، ص ٤٧٠.

(٢) حياة الفكر في العالم الجديد ، لزكي نجيب محمود ، ص ٧٣.

(٣) اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام ، ص ٦٦.

إزاءه هو أن أقيس موجته الضوئية التي منها يتكون انطباعي الحسي باللون الأخضر، لكن طول الموجة الضوئية شيء يختلف كل الاختلاف عن الإحساس باللون كما يقع عند الشخص المدرك. وعلى ذلك فالعلم عند قياسه لطول الموجة الضوئية التي تكون الإحساس باللون الأخضر إنما يقف عند ظاهرة تصاحب الإحساس باللون، ولا يتناول الإحساس اللوني نفسه(١).

ولقد رتب "رويس" على ما سبق، جهلنا بالعالم لو اقتصرنا على دراسته دراسة علمية، فيقول: (إننا لا نعلم عن العالم المتناهي بوجه عام إلا ما تعلمنا إياه الخبرة والتجربة وما يسجله العلم). كما يقول: (إن العالم الذي يتسبب في خبرتنا وتجاربنا إن هو إلا "س" (أو مجهول) كبير، غير معروف لنا، في جملته إلا باستثناء عدة ظواهر، هي التي تقع في خبرتنا). كما يعبر عن المعنى نفسه، بقوله: "إنني لا أستطيع أن أعرف شيئًا إيجابيًا وراء الخبرة الحسية، فهناك دائمًا ما لا يمكن معرفته" (٢).

ولا يعني ذلك أن "رويس" يرفض العلم بل لا بد عنده من تقدير العلم بقدره الصحيح، فلا نقص ولا زيادة، ومن سبل الإسراف في تقديره أن نظن أنه يقول الحق كله عن العالم، أو يمكنه أن يقول ذلك الحق كله، مع أننا قد رأينا أنه بحكم اعتماده على الوصف، فلا بد أن يتقيد بالجوانب التي يمكن وصفها دون الجوانب التي تكون في صميم خبراتنا، ومع ذلك فوصفها محال(٣).

---

(١) المرجع السابق ، لزكي نجيب محمود ، ص ٧٣.

(٢)المرجع السابق ، لعزمي إسلام ، ص ٦٧.

(٣)حياة الفكر في العالم الجديد ، لزكي نجيب محمود ، ص ٧٤.

إذن كيف نعرف الحقيقة نفسها؟ وكيف يمكن أن تنتقل خبراتنا الخاصة إلى الغير؟

لا يكون ذلك عند "رويس" بواسطة العلم، بل بواسطة الفلسفة التي تكشف لنا أننا في الحقيقة لسنا أفرادًا مستقلاً أحدنا عن الآخر، بل نحن أجزاء من نفس كلية تطوينا جميعًا في جنباتها، أجزاء من "المطلق" أو "الله"، فإذا ما أدركنا ذلك بواسطة الفلسفة، عرفنا أننا خلال هذا الاشتراك في عقل واحد كبير، يمكن لأحدنا أن يدرك إدراكًا مباشرًا ما يستقر في عقل الآخر، فما قد يطوف بخبراتنا الذاتية الخاصة، مما قد نظنه عابرًا يأتي ثم يمضي، هو جزء لا يفنى من مجموعة الخبرة الكونية الكبرى، وإذن ففي اتصالنا بالحقيقة الكونية وسيلة إلى إدراك ما نريد إدراكه من الحقائق الذاتية التي يعز على العلم ولغة العلم أن تكشفه لنا(١). هذا يعني أن معرفة الحقيقة عند رويس تتم عن طريق الفلسفة التي تمكن الفرد عند اتصاله بالحقيقة المطلقة والفكر الشامل من إدراك الحقائق والخبرات الذاتية إدراكًا مباشرًا.

وبناءً على هذا نستطيع القول إن المعرفة عند "رويس" ليست علاقة ثنائية بين طرفين هما الذات والموضوع، أي الذات العارفة وموضوع المعرفة، إنما هي علاقة ثلاثية ذات ثلاثة أطراف هي: الذات العارفة، وموضوع المعرفة، والعقل المطلق أو الحقيقة الكونية الكبرى، التي يتم من خلال اتصال الذات بها، معرفة الموضوع معرفة حقيقية. ففي التجربة المطلقة وحدها، التي يكون كل شيء حاضرًا فيها، والتي يفهم من خلالها كل شيء يمكن الكشـــف عن التفسير الأخير والنهائي لمعنى أي، وكل، تجربة جزئية

---

(١) المرجع السابق ، لزكي نجيب محمود ، نفس الصفحة، وينظر: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، لعزمي إسلام، ص ٦٨.

متناهية، وكذلك يمكن تصحيح أي خطأ والتغلب على كل نقص[١].

ويبدو لنا تأثر "رويس" بمذهب "كانط" النقدي في المعرفة، وخاصةً في تقسيمه للعالم (موضوع المعرفة) قسمة ثنائية: "عالم الوصف" ويقابل ما يسميه "كانط" بعالم الظواهر (الفينومان)، و"عالم التقدير" ويقابله في مذهب كانط عالم "النومان" أو الشيء في ذاته[٢]. العالم الأول هو عالم الوقائع الحسية وله مقولاته المعروفة، وهو موضوع المعرفة العلمية، والعالم الثاني هو عالم المثال والوعي، وله مقولاته الخاصة، وهو الآخر عالم واقعي مثل عالم الوصف، غير أن وجوده الواقعي مرتبط بالوعي وبالأنا، وهو موضوع المعرفة الفلسفية، ويعتبره رويس – كغيره من المثاليين– العالم الحقيقي.

ولكن إذا كان "رويس" يتفق مع "كانط" في قسمته الثنائية للعالم: عالم الظواهر والوصف وعالم النومان، أو الشيء في ذاته، إلا أنه يخالفه في قوله بقابلية هذا العالم الأخير للمعرفة، فلا توجد وقائع مستحيلة المعرفة، كما أن رويس يخالف غيره من المثاليين الذين أهملوا العالم الطبيعي أي العالم الوصفي، أو لم يعترفوا بقيمته، فرويس يعترف– على خلاف هؤلاء– بقيمة المعرفة العلمية، ولكنه يعتبرها "معرفة ناقصة، فلئن كانت تساعد على معرفة وقائع العالم الخارجي، إلا أنها لا تقدم معرفة عن الروح الكامنة وراء عالم الظاهر، لذلك لا بد من الفلسفة، فطريق الفلسفة وحده القادر على معرفة هذه الروح" [٣].

---

(١) المرجع السابق، لعزمي إسلام، ص ٦٨.

(٢) روح الفلسفة الحديثة، لجوزايا رويس، ص ٤١٥.

(٣) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري، ص ١١٣، وينظر: معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيتين إلى ما بعد الحداثيين ، للشريف طوطاو ، ص ١٤١، ١٤٢.

المطلب الثالث: ميتافيزيقا الوجود عند جوزايا رويس

الوجود من القضايا الميتافيزيقية عند" رويس"، والذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بنظريته في المعرفة وبفلسفته الدينية بحيث "تمثل دراسة النظريات الأساسية لوجود العالم المرحلة الأولى من تأويله الديني للفلسفة؛ حيث اعتبر دراسة العلم ومعنى وجوده مقدمة ضرورية لدراسة الدين" (١).

وقبل توضيح مفهوم الوجود عند "رويس" نعرض أولاً مفهومه عن الدين الطبيعي حيث يرى رويس أن هناك ثلاثة مفاهيم مختلفة في أدبيات الدين الطبيعي.

المفهوم الأول: يعتبر الدين عبارة عن بحث عن الله من خلال الطبيعة، وبذلك تصبح تعميمات العلم الطبيعي عن العالم الخارجي، مسئولة عن توضيح مسائل الدين.

والمفهوم الثاني: يعتبر الدين نوعًا من الوعي الإنساني وبالتالي فهم الدين لا يحتاج برهنة من العالم الخارجي، وإنما يقدر الإيمان من خلال الشعور الباطني ومن الاعتراف بالقيم الباطنية.

والمفهوم الثالث: يوحد بين الدين الطبيعي وفلسفة الدين، وبالتالي يصبح البحث النقدي في طبيعة الأشياء بحثًا في الدين، ومشكلات الميتافيزيقا مشكلات الدين(٢).

---

(١) العالم والفرد (المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود) ، لجوزايا رويس ، ترجمة وتقديم: أحمد الأنصاري، ١/ ٧ ، ط :المركز القومي للترجمة، ط الأولى القاهرة سنة ٢٠٠٨م .

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص ١٣٥.

ووفق المفهوم الأول فإن الباحث في الدين الطبيعي يقبل المعرفة السائدة في عصره بوصفها معرفة صحيحة وصادقة، ولا يحاول التعمق في أسس المعرفة، وإنما يسعى لتفسير الطبيعة الخارجية في ضوء الاهتمامات الدينية. أما المفهوم الثاني فينظر للدين الطبيعي بصفته صوت الطبيعة الإنسانية ذاتها التي تحتاجه للتعبير عن إيمانها وتنشر مثلها العليا، وتشبع حاجياتها، واستشارة إرادتها؛ لأن من يؤمن بهذه الحقيقة الدينية يكون وعيه الديني واضحًا بذاته لا يحتاج إلى تبرير. أما المفهوم الثالث فإن دارس الدين الطبيعي لا بد له من التعامل مع المشكلات الميتافيزيقية الرئيسة، أي يعد الباحث ناقدًا لأسس الإيمان، وكذا الطرق والمناهج التي تنظر بها طبيعة الحقيقة للواقع(١).

ويتبين مما سبق أن مفهوم الدين عند "رويس" ينقسم تبعًا للمؤمنين به إلى دين يؤمن بالطبيعة كما هي في الخارج وهو مذهب الواقعيين، ودين يغوص في أعماق الإنسان ويخاطب الوجدان من الداخل وهو مذهب الصوفية، ودين يهتم بالحقيقة ويبحث في المشكلات الميتافيزيقية إلى جانب نظرته النقدية وهو مذهب العقليين النقديين.

وعلى الرغم من الاختلافات الواضحة بين المفاهيم الثلاثة، فإنها -كما يري رويس- تحوي ما يجعلها مفاهيم مناسبة وصحيحة لدراسة الدين الطبيعي، فتهتم بالدين، ويمكن الاقتناع بها دون اللجوء إلى القول بعقيدة دينية معينة، أو بأي وحي سماوي منزل، وذلك إلى جانب أنها تؤكد كلها على وجود علاقة بين النظام الطبيعي للحقيقة ومحتويات المذهب الديني قد تختلف

(١) العالم والفرد، لجوزايا رويس ،١/ ٢٢.

فيما بينها في نوع الحقيقة الطبيعية التي تمثل نقطة البداية لدى كل اتجاه منها، أو التي قد تمثل حدودًا لنطاق البحث الذي يقترحه(١).

ولذلك يقرر "رويس" أنه لا يمكن إهمال أي من هذه المفاهيم، عند دراسة العلاقة بين الدين والمسائل الرئيسة لنظرية الوجود(٢).

ويرى "رويس" أن المفاهيم الرئيسة للطبيعة النهائية للوجود، أو ما يطلق عليه رويس "المحمول(٣) الوجودي" ما هو إلا تفسير لفلسفة الدين نفسها، إذ إن الحكم بأن الله موجود أو العالم موجود أو كما قال ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود" يتضمن معرفة معنى الوجود أو معرفة ما يتضمنه المحمول الوجودي ذاته. وكما ترى معظم الأديان الشعبية أن الاعتراف بوجود الله أهم من معرفة طبيعته، فبالتالي لن يجد من يختلف معه من أصحاب العقول التقليدية، في حين أن هؤلاء الناس أنفسهم قد يتهمون بالإلحاد لمجرد شعورهم بتشكيك بوجود الله ولو بدرجة ضئيلة؛ أي إن الفكر الديني الشعبي ليس قائمًا على أساس عقلي بل يستند على غرائز دفينة وعميقة في الطبيعة الإنسانية، ومن هنا يوضح لنا رويس أن الإشكالية تكمن في أن المرء حقيقة لا يستفيد كثيرًا من الاعتقاد في وجود شيء معين لا يعرف صفاته، إلا إن الإعجاب بما هو غير قابل للمعرفة في اللاهوت يتم تدعيمه إلى حد كبير بالشعور الناقص، فبمجرد الحكم بوجود كائن معين أو بوجود الله أكون قد

---

(١) العالم والفرد، لجوزايا رويس ، ٢٢/١.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص ١٣٥.

(٣) المحمول: هو الأمر في الذهن. ينظر: التعريفات ، للسيد الشريف الجرجاني ، ص١٨٢.

نسبت إليه صفات، هذه الصفات يكون تعريفها كما يرى "رويس" متضمناً في الحكم المجرد(١).

ويؤكد "رويس" على أن أية دراسة جادة للدين يجب أن تستند على مجموعة من الآراء والمسائل الأنطولوجية، ولا بد أن تهتم بتوضيح المقصود بالوجود، وبنوع الوجود الذي ينسب لله والعالم والإنسان، ولذلك لا بد أن تتضمن الدراسة عرضًا تاريخيًا للمقصود بالمحمول الوجودي، لأن الحكم مثلاً بأن الله موجود، يتضمن معرفة بماذا يكون الوجود، أو ما يتضمنه المحمول الوجودي ذاته. ولئن كان من الشائع لدى الفهم العام بأن من الأفضل أن يعرف الفرد أن الله موجود بدون معرفة أية تفصيلات عن ماذا يكون الوجود، إلا أن ذلك قد أدى إلى غموض المفاهيم الدينية والاعتماد على الغريزة بدلاً من البراهين والحجج العقلية. لذلك أي فهم جاد للدين لا بد أن يستند على دراسة للمعاني المختلفة للمحمول الوجودي. والواقع أن مثل هذه الدراسة إلى جانب توضيحها للأمور الدينية، تكشف في الوقت نفسه عن وجود كثير من الارتباطات بين هذه المعاني والاهتمامات العملية للدين(٢).

وبناءً على ذلك تعد دراسة الوجود عند "رويس" هي الأساس الميتافيزيقي لكثير من المسائل الدينية، إذن فما مفهوم الوجود عند جوزايا رويس؟

مفهوم الوجود عند جوزايا رويس:

يبدأ "رويس" نظريته في الوجود بمناقشة المفاهيم التاريخية المختلفة للوجود ليستخرج منها المفهوم الأكثر تعبيرًا عن ماهية الوجود ومفهومه، وقد شكلت هذه المناقشة موضوع الجزء الأول من كتابه "العالم والفرد" والموسوم

---

(١) المصدر السابق، لجوزايا رويس ، ١/ ٢٧، ٢٨.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري، ص ١٣٦.

بـــ "المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود"، وقد بين رويس أن هناك أربعة مذاهب مختلفة لكل منها مفهوم خاص للوجود، وهذه المذاهب هي: ١- المذهب الواقعي، ٢-مذهب التصوف، ٣-المذهب العقلي النقدي، ٤- والمذهب الرابع هو المذهب المثالي الذي يمثله "رويس"، والإشكال الأساسي بين هذه المذاهب يتعلق بطبيعة الوجود، هل هو واقعي أم عقلي؟ وهل هناك وجود واقعي موضوعي مستقل عن الفكر؟ وهل هناك فكر ومادة؟ وهل المادة مستقلة عن الفكر؟[١].

وللإجابة عن هذه التساؤلات سوف نعرض رؤية رويس لتلك المذاهب فيما يلي:

أولاً – المذهب الواقعي (المفهوم الواقعي للوجود):

المذهب الواقعي يعني به "رويس" المذهب الذي يقول: إن " المعرفة المحض بأي موجود عن طريق أي شخص لا يكون هو نفسه الموجود المعروف" لا تختلف مهما كانت" بالنسبة لذلك الموجود المعروف" وبمعني آخر؛ إذا اختفت كل معرفة من العالم، فإن الاختلاف الوحيد الذي يصنعه ذلك بالنسبة للعالم هو أن الواقعة الجزئية للمعرفة لم تعد موجودة إن الصدق والكذب يتمثلان في تناظر أو عدم تناظر الأفكار مع الأشياء؛ ولا شيء يوجد ببساطة بفضل الواقعة التي تقول إنه معروف. ولذلك لا نستطيع أن نقول عن طريق فحص العلاقات بين الأفكار ما إذا كانت الموضوعات التي تشير إليها موجودة أم غير موجودة [٢].

---

(١) معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيين إلى ما بعد الحداثيين ، للشريف طوطاو، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٢) تاريخ الفلسفة" من بنتام إلي رسل"، لفردريك كوبلستون ، ٣٩٢/٨.

وبعبارة أوجز المذهب الواقعي عند "رويس" هو الذي يري أن وجود الموجودات لا يتوقف علي إدراكها، إنها موجودة سواء عرفت أو لم تعرف. والصواب والخطأ إنما يتوقفان علي التناظر أو عدم التناظر بين الأفكار والأشياء(١).

ويؤكد المذهب الواقعي -كما ما يرى رويس- على استقلال الواقع عن الخبرة أو الفكرة التي تشير إليه، وأن الاستقلال هو جوهر الواقع، حيث يقوم بالفصل بين الوجود والماهية أو كما يقول "رويس" بين "ماذا" و"هذا" بالنسبة للموضوع الموجود أو "المحمول الوجودي" ولم يحدد التعريف الواقعي بصورة مسبقة أي الموضوعات التي تتصف بالوجود، فيجب التمييز بين الموضوعات الواقعية وغير الواقعية، فقد تعد القيم العليا والأوهام والكائنات الخرافية موضوعات غير موجودة، وقد تثبت الخبر ماهيتها، وبالتالي يمكن القول إن الموضوعات الخيالية تعتمد على الأفكار والآمال والأحلام التي قد تتصورها، كما أن معنى المحمول الوجودي في هذا المفهوم الأول، يعتبر المادة والروح من الأشياء الواقعية، ويشير "رويس" إلى العديد من الكائنات من النمط الواقعي التي ظهرت في الفلسفات الواقعية والتي أيضًا ظهرت عبر تاريخ الفلسفة، فهناك على سبيل المثال "الواحد الإيلي"(٢) و"كثرة

---

(١) موسوعة الفلسفة، لعبد الرحمن بدوي ،١/٥٤٥.

(٢) الإيلي: الإيليون هم الفلاسفة اليونانيون الذين كانت نشأتهم بإيليا ويشكلون معًا ما يسمي بالمدرسة الإيلية وكان بارمينيدس هو أول هؤلاء الفلاسفة، وكان بحثه في الوجود باعتباره الحقيقة الوحيدة وما عدا ذلك فهو عدم. ومن شأنه أن يتميز بالوحدة والثبات، وهذا الوجود كما تراه عقولنا هو واحد، لأنه لو لم يكن كذلك لكان هناك شيء آخر بخلاف الوجود. ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،لعبد المنعم الحنفي ،١/ ٢٣٥.

انباذوقليس"[١] و"ديموقريطس"[٢]، و"مُثُل أفلاطون" وتعريفه لها بوصفها كائنات واقعية لها وجود مستقل، ولها قيمتها الخاصة بها، و"كائنات أرسطو" الفردية بكل درجاتها من الله إلى المادة، و"طبيعة الرواقي"[٣]، و"ذرات أبيقور[٤]"، وكل عالم الكائنات المخلوقة في اللاهوت المدرسي بوصفها

---

(١)انباذوقليس الإغريغنتي:(Empedocle DAgrigente) فيلسوف يوناني، ولد نحو ٤٩٢ ق.م في أغريغنتا، وضع معرفته بطبيعيات وروحه الخلاق في خدمة مدينته وصقلية بأسرها، ترجع نشأة الكون عنده إلى العناصر الأربعة الأساسية، وهي النار والهواء والتراب والماء. ينظر: معجم الفلاسفة، لجورج طرابيشي ، ص٩٧.

(٢) ديموقريطس:(Democrite dAbdere)(حوالي ٤٦٠-٣٧٠ قبل الميلاد) فيلسوف مادي يوناني قديم، وهو مؤسس نظرية الجزء الذي لا يتجزأ، والذرات عنده هي جزيئات لا تنقسم للمادة، ثابتة وخالدة وفي حركة مستمرة، واتحاد الذرات ينتج الأجسام، والتعدد اللانهائي للذرات في حالة حركة في الفراغ اللانهائي للأبد. ينظر: الموسوعة الفلسفية ، م. روزنتال- ب. يودين ، ص٢١٣.

(٣)الرواقي:الرواقيون (Stoics) دعاة مدرسة فلسفية انتشرت في اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد، وزينون وكريسيبوس هما أكبر الدعاة البارزين في القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد، وسموا بالرواقيين لأن زينون كان يعلم تلاميذه في رواق، ويذهب الرواقيون إلى أن الحياة يجب أن تعاش وفق طبيعة، وهذا أنموذج كل إنسان عاقل، ولذلك وجب على الإنسان أن ينصرف عن العواطف والأفكار التي تجعله يحيد عن جادة القانون طبيعي، وكان الرواقيون ماديين في تصورهم للطبيعة، ويقولون بأن كل ما في العالم أجسام ذات كثافة مختلفة. ينظر: الموسوعة الفلسفية ، م. روزنتال- ب.يودين ، ص٢٣، و المعجم الفلسفي، لجميل صليبا ، ١/ ٦٢٢، ٦٢٣.

(٤) أبيقور:(Eplcure) فيلسوف يوناني، ولد في ساموس سنة ٣٤١ ق.م، وتوفي في أثينا سنة ٢٧١أو ٢٧٠، وقد درس على يد نوزيفانس، تلميذ ديموقريطس، وأشهر ما يعرف به أبيقور أنه شارح للنظرية الذرية التي قال بها ديموقريطس، والإضافة=

مستقلة عن الله"، و"جوهر سبينوزا" [١] و"ذرات" أو "منادات[٢] ليبنز"[٣] و"الأشياء في ذاتها عند كانط، و"كائنات هربارت [١] الواقعية"، و"المادة عقل"

=الوحيدة الأصيلة التي أسهم بها في النظرية الذرية هي القول بأن الذرات تسقط أصلًا في خطوط متوازية كأنها المطر، لكن بعض الذرات تنحرف من تلقاء نفسها. ينظر: معجم الفلاسفة، لجورج طرابيشي ، ص٤٠، و الموسوعة الفلسفية المختصرة ، لجوناثان ري- وج.أو.أرمسون ، ص ١٤، ١٥.

(١) سبينوزا "باروخ": (Benedictus Spinoza) (١٦٣٢-١٦٧٧) يهودي هولندي، أبواه من أصل أسباني، عاشا في البرتغال، وفرا إلى هولندا هربًا من الاضطهاد، اتهم سبينوزا بالمروق عن العقيدة اليهودية لتحكيمه العقل فيها، من أتباع ديكارت في فلسفة المعرفة، ومن القائلين بوحدة الوجود في الإلهيات، من مؤلفاته" المبادئ الفلسفية لديكارت" و" الأخلاق"، و" الرسالة اللاهوتية السياسية". ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، لعبد المنعم الحفني ،١/ ٧٢٠-٧٢٣، ومعجم الفلسفة، لمحمود يعقوبي ، ص ٢١٤ .

(٢) منادات: المونـاد باليونانية "موناس" Monas وتعني العدد واحد، وفيما بعد أصبح يشير إلى أي وحدة فردية أو جواهر فردية أو ميتافيزيقية، وعرف ليبنتز المونادات بأنها جواهر مفردة ميتافيزيقية أو نفوس غير ممتدة، نشطة، غير قابلة للانقسام أو التحطيم بطريقة طبيعية، كما أنها جواهر غائية تترابط بصورة مثالية في نسق يتصف بسبق التوافق، ويرى ليبنتز أن المونادات ذرات حقيقية للطبيعة، وأنها عناصر الأشياء، وأن المونـاد جوهر بسيط يختلف تمامًا عن الذرة المادية. ينظر: قراءة للمصطلح الفلسفي، لصفاء عبد السلام جعفر، ص ٥٥-٥٧.

(٣) ليبنتز (جوتفريد فلهلم) (١٦٤٦- ١٧١٦): فيلسوف ألماني وعالم بالرياضيات ولاهوتي وكيميائي وهندسي ومؤرخ ودبلوماسي، ولد في هانوفر، كان أبوه أستاذًا للفلسفة الأخلاقية بجامعة ليبزج، وكان في السادسة من عمره عندما توفي أبوه، وفي سن الخامسة عشرة التحق بالجامعة وتخرج سنة١٦٦٣، بعد أن تقدم برسالة عنوانها" مناقشة ميتافيزيقية لمبدأ الفرد" ويحتوي هذا العمل على كثير من الأفكار التي تطورت=

عند "كليفورد"[٢] و"اللامعروف عند سبنسر"[٣]. وكل الكائنات الأخلاقية في كل المذاهب الميتافيزيقية الحديثة، فكل هذه الأنواع المختلفة في القيمة

=بعد ذلك في كتاباته المتأخرة، ومن مؤلفاته: " في إصلاح الفلسفة الأولى وفي معنى الجوهر"، في طبيعة بحد ذاتها" محاولات جديدة في الفهم البشري". ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، لجوناثان ري- وج.أو.أرمسون ، ص ٢٧٦ -٢٨٢ ، وينظر المرجع السابق، لجورج طرابيشي ، ص٥٧٨- ٥٨٣.

(١) هربارت، يوهان فريدريش:(Herbart,johann friedrich) فيلسوف مثالي وعالم نفسي وتربوي ألماني، كان يعتقد أن الوجود كله يقوم على "وقائع "هي جواهر أبدية ولا تتغير وروحية (مثل الموناد عند لايبنتز)، ولا يمكن إدراكها (مثل الأشياء في ذاتها عند كانط)، و""النفس أكمل الوقائع وعندها تنشأ كل الظواهر النفسية. ينظر: الموسوعة الفلسفية ،م.روزنتال- ب. يودين ، ص ٥٥٧ .

(٢) كليفورد، وليم كينغدون: (Cllfford,Wlliiam Kingdon) رياضي وفيلسوف انجليزي (١٨٤٥- ١٨٧٩) علاوة على دراساته في الهندسة غير الإقليدية، كتب في علم النفس والفلسفة من منطلق وضعي يعتمد على تجربة مباشرة أكثر منه على العلوم. وضع نظرية "المادة الذهنية" أي إن المادة عقل، وقال بوجود " أنا قبلي" و"وعي اجتماعي" و"انفعال كوني". كان في أفكاره قريبًا من وضعية رينان، من مؤلفاته" مطالعات ومحاولات". ينظر: معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي ، ص٥٢٦.

(٣) سبنسر، هربرت: (١٨٢٠-١٩٠٣) عالم اجتماعي ونفساني انجليزي، قليلًا ما يقرأ اليوم ولكنه نال شهرة كبيرة ذائعة في الشطر الأخير من القرن التاسع عشر، وقد ذهب سبنسر في كتابه " المبادئ الأولى" إلى أننا لا يمكننا أن نحصل إلا على معرفة بالظواهر ولكن في مقدورنا مع ذلك أن نستدل على " ما لا يمكن معرفته"، وهو قوة لا تدرك هي مصدر الظواهر التي أهمها " قانون التطور" وأهم مؤلفاته" أصول علم النفس"، وأصول البيولوجيا"، و" أصول علم الاجتماع"، و" تصنيف العلوم". ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، لجوناثان ري- وج.أو.أرمسون، ص١٧٩، ومعجم الفلسفة، لمحمود يعقوبي، ص٢١٣.

والأوصاف من الموضوعات المدركة، يمكن اعتبارها وفق المفهوم الأول للوجود كائنات واقعية، حيث يعتبر رويس كل هؤلاء الفلاسفة واقعيين(١).

ويؤكد "رويس" من جهة أخرى علي أن المفهوم الأول للوجود لا يطابق أي تعريف من التعاريف الشعبية للوجود؛ حيث أصبحت الذرات غير قابلة للرؤية المباشرة، ولا نعرف الواحد الأيلي إلا بالعقل، كما أن المثل الأفلاطونية ليست جسمية، وأن "منادات ليبنتز" تعتبر نفوسًا، وأن الأشياء في ذاتها عند "كانط وكائنات "هربارت" الواقعية غير قابلة للمعرفة. كما أن المفكرين الذين طبقوا هذا المفهوم اعتمدوا على العقل، ولم يتجهوا للرؤية الحسية، أو استندوا إلى أي صورة من الصور التي تعتبرها الميتافيزيقا الشعبية كافية للتعبير عن المفهوم الوجودي (٢).

وبعد عرض "رويس" للمفهوم الواقعي للوجود ينقده بقوله إنه يقوم على أساس أن العالم مؤلف من كيانات عديدة مستقلة بعضها عن بعض،، وإذا جزئ أحدها لا يؤثر في سائرها. والعلاقات التي تضاف إلى هذه الكيانات يجب أن تكون هي الأخرى مستقلة. ونتيجة هذا أن حدود العلاقة الواحدة لا يمكن ربطها بالأخرى. فما دمنا قد بدأنا من كيانات مستقلة بعضها عن بعض، فإنها تظل مفصولة عن بعضها بعضًا، والأفكار هي الأخرى يجب أن تكون مستقلة عن بعضها بعضًا وعن سائر الأشياء، وإذا كانت الأفكار مستقلة عن الأشياء التي هي أفكار لها، فلن يكون في وسعنا أن نعرف هل هناك تناظر بينها وبين الأشياء التي هي أفكار لها(٣). وبمعني آخر، إذا كانت

---

(١) العالم والفرد، لجوزايا رويس ،٦٠/١، ٦١.

(٢) المصدر السابق، لجوزايا رويس ، ٦١/١، ٦٢.

(٣) الموسوعة الفلسفية، لعبد الرحمن بدوي، ١/ ٥٤٥.

الأفكار كيانات مستقلة تمامًا عن كيانات أخرى، فإننا لا نستطيع مطلقًا أن نعرف ما إذا كانت تناظر موضوعات خارجية، ولا نعرف بالفعل، ما إذا كانت هذه الموضوعات موجودة. وهكذا لا نستطيع أن نعرف ما إذا كان المذهب الواقعي، من حيث إنه فكرة أو مجموعة أفكار، صادقًا أم كاذبًا. وبهذا المعني يقضي المذهب الواقعي، من حيث إنه نظرية عن الحقيقة، علي نفسه بنفسه ؛ أي إنه يقوض أسسه الخاصة(١).

وينتهي "رويس" من نقد المذهب الواقعي، بأن عالم الحقيقة لا يكون مستقلاً عن المعرفة وعن الأفراد، ويقع في قلب خبراتهم المحدودة، إنه عالم لا تنفصل فيه الأفكار أو الأحداث عن الذات العارف أو عن الوقائع الأخرى في الكون. إنه عالم تتوحد فيه الكائنات الروحية والمادية ولا وجود لكائنات حيادية، فكل كائن يؤثر على الكائنات الأخرى(٢).

ثانيًا- المذهب الصوفي "المفهوم الصوفي للوجود":

المذهب الثاني الذي يناقشه "رويس" هو ما يسميه باسم التصوف(٣)، وهو يضع التصوف في مقابل الواقعية، فإنه إذا كانت الواقعية تقوم على أساس

---

(١) تاريخ الفلسفة" من بنتام إلي رسل"، لفردريك كوبلستون ، ٣٩٣/٨.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص ١٤٥.

(٣) بدأ التصوف في الهند حين ظهرت ديانتا "اليوبنشاد" و"الفيدانتا"، وانتقل بعدها إلى أوربا حيث تم اكتشافه في محاورة "أفلاطون"، والتي احتوت على البعض من صوره، كما أن تفسير الحياة الباطنية لله عند أرسطو جاء قائمًا على مدلول صوفي، وشكل بعدها التصوف عنصرًا مهمًا عند "أفلوطين" حين امتزج ببعض مفاهيم الفلسفة الواقعية والمذهب المثالي، وانتقل إلى اللاهوت المسيحي من خلال الأفلاطونية الجديدة، كما أثر في الفلاسفة المدرسيين، فحاول القديس "توما الإكويني" الإفادة من مزايا التصوف دون الإخلال بمبادئ المذهب الأرثوذكسي، وانتقل التصوف إلى ألمانيا في اللاهوت=

وجود أشياء في الخارج مستقلة عن تصوراتنا لها، وبالتالي على أساس وجود ثنائية في الوجود، فإن التصوف يقوم على عكس ذلك إذ يقوم على أساس القول بوجود واحد أحد يختفي فيه التمييز بين الذات والموضوع، بين الفكرة والشيء المناظر لها"[١].

ويرى "رويس" أن القيمة التاريخية للتصوف لا تكمن في نظرته إلى الموضوع الذي يطلق عليه المحمول الوجودي وإنما في نظرته العميقة للمحمول الوجودي ذاته، أي على عكس المذهب الواقعي، فلا يهتم الصوفي بوجود الموضوع، بل بالمحمول وبالحكم الحملي. إن الوجود عند الصوفي يعني ما يكون وجوده وجودًا مباشرًا نقيًا، ويرى أن خلاص الفرد الأبدي يعتمد على النقاء المجرد للمحمول الوجودي. يهتم الصوفي بنقاء الخبرة، ويجعل منها وسيلة لتعريف الواقع، ولا يحصل على الوجود من الفكر، بل من الاعتماد على معطيات الخبرة المباشرة بعد تنقيتها. فالصوفي تجريبي صرف، حتى يمكن القول إنه التجريبي الأصيل في تاريخ الفلسفة[٢].

لذلك يري "رويس" أن الصوفي لا يثق في الأفكار فيؤكد أولاً أن الواقع هو ما يجعل الأفكار صادقة أو كاذبة، ولكنه يقرر في الوقت نفسه أن الأفكار تكون دائمًا زائفة، لأنها جزئية وتبحث عن الآخر دائمًا، وتعتبره مرشدًا لها. ويؤكد ثانيًا بأن الوجود الحقيقي يكون دائمًا شيئًا أعمق مما يراه الإنسان

="البروتستانتي" حيث ازداد نشر مبادئه بين العلمانيين، ويُعد شوبنهور أحد النماذج الحديثة لتأثير التصوف في المذهب الفلسفي. ينظر: العالم والفرد، لجوزايا رويس ، ٧١/١، ٧٢ .

(١) موسوعة الفلسفة، لعبد الرحمن بدوي ، ١/ ٥٤٥.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص١٤٥.

ويشعر به. فعلى الإنسان أن ينظر بعمق وراء الأفكار الزائفة، ووراء كل المعارف المباشرة، فيجد الواقع الذي يحقق الإشباع للأفكار، والآخر الذي يشعر معه بالسكينة، فالواقع المباشر هو الروح هو أنت هو "العالم" هو "المطلق". إن الوجود عند الصوفي، يتم الشعور به مباشرة، عندما يتحقق هدف ومسعى الفكر وتتوقف عملية التفكير، وهو الواقعة البسيطة المباشرة، الكامنة في الإنسان، والتي لا توصف، وفوق المعرفة، لأن المعرفة تعني دائمًا التلوث بالأفكار، وكذلك ما يستحق أن يسمى واقعًا (وجودًا) لا بد أن يكون واحدًا؛ لأن التعدد يحتاج إلى التفكير، وكلما تم الاقتراب من معرفة الواحد يقل التعارض بين الأشياء في العالم، فالتعدد وهم، وتتحقق الوحدة، وتتوقف معرفة الفرد لذاته، ولا يشعر إلا بالمطلق، لأن اكتشافه للوجود يتضمن نسيان الذات أو أن تصبح وهمًا أو حلمًا. إن المتصوف يسعى لتحطيم الفصل بين "الواقع" و"المرغوب" فيه، ويرى أن الإنسان يستطيع ذلك بالسمو فوق الرغبات وبإطفاء الأفكار، ويؤكد التصوف الهندي على أن الوجود الحق هو الواحد المدرك "بالحدس"، لا انفصال بين الوجود والذات العارف، ولا وجود لموضوع بدون ذات، ويشعر الإنسان بالعالم، يتحد معه، فالأنا هو الكون[١].

ويترتب علي ما سبق أن التصوف عند "رويس"، يقضي هو الآخر على نفسه بنفسه مثل المذهب الواقعي؛ لأنه إذا لم يكن هناك سوي موجود واحد بسيط لا ينقسم، فإن الذات المتناهية وأفكارها لابد أن تُعد وهمًا، وفي هذه الحالة لا يمكن معرفة "المطلق" لأنه لا يمكن معرفته إلا عن طريق أفكار إن

(١) المرجع السابق، لأحمد الأنصاري ، ص ١٤٥، ١٤٦.

أي تأكيد بأن هناك واحدًا لابد أن يكون وهمًا. صحيح أن أفكارنا المتفرقة تحتاج إلى اكتمال في نسق موحد، وأن الكل هو الحقيقة. لكن إذا أكد فيلسوف ما الوحدة إلى حد أن الأفكار يجب أن تعد وهمًا، فإنه لا يستطيع في الوقت نفسه أن يثبت، باتساق، أن هناك واحدًا أو مطلقًا. لأنه جلي أن المطلق لا يكون له معنى بالنسبة لنا إلا من حيث إنه يتصور عن طريق أفكار. ولذلك إذا أردنا أن نثبت أن المعرفة ممكنة، فإننا لا نستطيع أن نسلك درب التصوف إذ يجب علينا أن نقر بالتعدد(١).

ثالثًا- المذهب العقلي النقدي (المفهوم العقلي النقدي للوجود):

ينتقل" رويس "بعد نقده لمفهوم الوجود عند المذهبين السابقين إلى بيان مفهومه عند المذهب الثالث "المذهب العقلي النقدي" الذي يعرف الوجود بأنه ما يمكن ملاحظته تحت ظروف معينة، وما يؤكد صحة هذه الأفكار هو جعل الخبرة أو التجربة هي التي تحدد هذه الأفكار، وتجعل من التجربة ممكنة، فإذا كان لدى الفرد أفكار معينة، ولم تقدم الخبرة لها كل معناها وحاول البحث عن صلتها بالوجود. فإنه يجعل من الوجود معيارًا لصحة أو خطأ أفكاره، وبالتالي يوحد هذا المفهوم بين الواقع والمصداقية، كما ينفي مهمة البصيرة في معرفة حقيقة أي عالم مستقل، بل تكمن قيمتها في إعطاء عالم وحدة معقولة للعالم الظاهر، ولا يكون عالم هذه المبادئ أو محمولها الوجودي مستقلاً أو وهمًا أو واقعًا روحيًا، بل عالم مبادئه واضحة لكل

(١) تاريخ الفلسفة " من بنتام إلي رسل"، لفردريك كوبلستون ، ٣٩٣/٨.

الناس، ولا توجد إلا كائنات بالقوة، وقوانين ونظم للحقيقة وموضوعات تبدو كما لو كانت في الحقيقة واقعية، فلا يطلب من الإنسان أن يثبت أن الله موجود، ولكن عليه أن يسلك كما لو كان موجودًا، فالله عندهم إما أن يكون موجودًا بالقوة، أو لا وجود له على الإطلاق(١).

نستخلص مما سبق أن المذهب العقلي النقدي عند "رويس" يحاول أن يعرف الوجود على أساس الصدق، فإنه حين يقول عن شيء أنه موجود يعني فقط أن فكرة معينة عنه صادقة، حقيقية، ويحدد أن تجربة ما أو على الأقل مثلاً أعلى رياضيًا، وربما بوصفه حادثًا تجريبيًا، هو ممكن. فإذا اقترحت أنني أقرر أن هناك أناسًا يعيشون في المريخ، فإنني بحسب المذهب العقلي النقدي أقرر أنه في تقدم التجربة الممكنة فإن فكرة ما ستصدق(٢).

ويستدل الفيلسوف العقلي النقدي عند" رويس" على صحة مفهومه الوجودي بعدة أدلة من أهمها أن الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية والرياضية دائمًا ما يكون لها وجود موضوعي، حتى وإن لم تدرك من قبل أي فرد، ويجعل وجودها الأفكار التي تشير اليها صحيحة، وتظهر قيمتهم في إعطاء المصداقية لهذه الأفكار، وتوجد هذه الموضوعات خارج الأفكار الجزئية والخاصة لأي فرد، ولكنها لا توجد مستقلة عنها لأنها ليست وقائع فردية، وإنما وقائع موضوعية، وإذا اختفت الأفكار من العالم تختفي هي أيضًا، فالعالم الرياضي مثلاً عندما يضع معادلة رياضية بفعل بنائي حر يدرك بمجرد بنائها أنها تنتمي لعالم أزلي، ولكنه يكتشف في الوقت نفسه أن

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري، ص ١٤٧.

(٢) موسوعة الفلسفة، لعبد الرحمن بدوي، ١/ ٥٤٦.

وجودها ليس مثل "ذرات ليبنتز"، وإنما توجد باعتبارها موضوعات لفكر ممكن، أو كحقائق صادقة، وليس باعتبارها مستقلة عن أية عملية معرفية(١).

ويرى "رويس" أن المفهوم العقلي النقدي للوجود يعود إلى "أفلاطون"، ويظهر في نظرية "أرسطو" عن الوجود الممكن، وإصرار أرسطو على أن الممكنات كائنات واقعية، والممكنات ما هي إلا الأفكار، ويمكن القول إن نمط الوجود بالقوة عند "أرسطو" يطابق هذا المفهوم العقلي النقدي، كما يظهر هذا النمط من الوجود في برهنة أوغسطين(٢) على وجود الله، وفي الدليل الأنطولوجي عند "أنسلم"(٣)، وفي نظرية "توما الإكويني" عن طبيعة الله، وفي

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص ١٤٨.

(٢) القديس "أوغسطين" : (٣٥٤- ٤٣٠م) ويعرف باسم أوليوس أوغسطينوس وبأوغسطين الأيبوني، كاتب وفيلسوف من أصل لاتيني، ولد في طاجسطا (سوق أهراسا بالجزائر) من أعمال نوميديا، كان أبوه وثنيًا وأمه نصرانية، وتلقى أوغسطين دراسة وافية في البيان وهي دراسة غلبت عليها روح شيشرون، وأسس أوغسطين الرهبانية التي تحمل اسمه ووضع لها دستوراً، ومن أعماله: " مدينة الله"، الرسائل" " الاعترافات"، الثالوث، العقائد المسيحية، " الحياة السعيدة". ينظر: معجم الفلاسفة ، لجورج طرابيشي، ص ١١٨، والموسوعة الفلسفية المختصرة ، لجوناثان ري- وج.أو.أرمسون ، ص٧٤ .

(٣) أنسلم، أسقف كانتري:(Anselm of Canterbury)(١٠٣٣- ١١٠٩) لاهوتي وفيلسوف ومن (السكولائيين) المدرسيين، كان انسلم يعتقد أن الإيمان ينبغي أن يسبق المعرفة، فعلي المرء أن يؤمن كيما يفهم، ومع ذلك يمكن أن يقوم الإيمان على أساس العقل، وقد طور انسلم الدليل " الانطولوجي" "الوجودي" كإثبات لوجود الله، وكان هدفه الذي دأب عليه كأسقف لكنيسة كانتربري هو تمجيد الكاثوليكية. ينظر: الموسوعة الفلسفية ، م.روزنتال- ب. يودين ، ص٥٩ .

نظرية "كانط" المسماة بعالم الخبرات الممكنة، أي الوجود الذي تكمن واقعيته في مصداقيته، وتكمن قيمته في جعل الأحكام الصادرة عنه أحكامًا صحيحةً[١].

كما يتميز هذا المفهوم الوجودي عند "رويس" بصفتين الأولى: أن الوجود الحقيقي هو الوجود الكلي، والصفة الثانية: هي أن هذا المفهوم يطابق بين الوجود والممكن، أي ما يمكن ملاحظته تحت شروط معينة، حتى وإن كان غير متحقق في الطبيعة الملاحظة في الحاضر، كما يتصف المفهوم الثالث للوجود بأنه مفهوم نقدي، ينسب الوجود للموضوعات في نفس لحظة معرفتهم، وأن الأفكار التي تشير إلى الموضوعات حقيقية. وإذا ما فقدت الأفكار معناها وقيمتها، يفقد الشيء الذي تشير الأفكار اليه وجوده، كما يؤكد المفهوم على أن ما يوجد يحقق معنى الفكرة الحاضرة التي تشير إلى وجوده، وبدون تحقيق معنى (هدف) الفكرة، لا يمكن إدراك أي وجود أو الحكم فلا يستطيع الإنسان أن يحكم بالوجود، بدون استخدام الأفكار والتأكد من صحتها أو لا، ويقوم كل حكم بالوجود على الاعتقاد في الخبرة ككل، وفي وجود عالم الحقيقة الذي تكون خبرة الفرد الحاضرة جزءًا منه، ويعتقد في صحته وبنائه[٢].

وعلى الرغم من ذلك ينقد "رويس" أيضًا المذهب العقلي النقدي، فيري أنه وإن كان يتميز على المذهب الواقعي لأنه يتجنب الاعتراض الناشئ عن فصل الواقعية بين الأفكار وبين الأشياء التي تشير هذه الأفكار إليها، لكن آفة المذهب العقلي النقدي هي أنه عاجز عن الإجابة على هذا السؤال: ما

---

(١) المرجع السابق ،لأحمد الأنصاري ، نفس الصفحة.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص ١٦١.

التجربة الممكنة في الوقت الذي ينظر فيه إليها على أنها ممكنة فقط؟ وما هي الحقيقة الصادقة إذا كان لا يوجد أحد يستطيع حاليًا أن يثبت صدقها؟[١].

علي سبيل المثال افرض أنني قلت: إن هناك موجودات بشرية يعيشون علي كوكب المريخ، فإن هذا القول يتضمن، بدون شك، بمعني يمكن تحديده لهذا اللفظ، أن وجود الناس علي كوكب المريخ هو موضوع لتجربة ممكنة. لكن إذا كان القول صادقًا، فإن وجودهم لا يكون، ببساطة، وجودًا ممكنًا. ولذلك قلما نستطيع أن نعرف الوجود ببساطة عن طريق الصدق الممكن أو التحقق من فكرة ما[٢].

يتضح لنا من خلال عرض "رويس" للمفهوم العقلي النقدي أن إشكالية هذا المفهوم تتمثل في تعريف الحقيقة أو عالم المصداقية، فإذا كان العقليون النقديون ردوا الوجود إلى الحقيقة أو الصدق، أي وحدوا بين الوجود والحقيقة، فلا بد من معرفة ما الذي يكون أو يشكل الحقيقة في حد ذاتها.

رابعًا- المذهب الرويسي (المفهوم المثالي للوجود):

لم يجد "رويس" في المذاهب الفلسفية التي تناولت مفهوم الوجود أيًا منها صالحًا لتفسير الوجود، وإن كان قد اكتفى بثلاثة اتجاهات رئيسة تمثل العناصر الرئيسة في دراسة مفهوم الوجود، فربما السبب في الاكتفاء بهذه المذاهب أنه قد اعتبر أن نظرية الوجود ترتبط بنظرية المعرفة، ومحصورة في نطاق علاقة الفكر بالواقع أو الفكرة بالموضوع، فقال "الواقعي" بالوجود الفردي المستقل عن الذات العارفة، وألغى "الصوفي" الوجود الخارجي المستقل داخل الذات الشاعرة، فلا موضوع إلا أنت، فأحال الخارج عدمًا، ثم

---

(١) الموسوعة الفلسفية ، لعبد الرحمن بدوي ، ١/ ٥٤٦.

(٢) تاريخ الفلسفة " من بنتام إلي رسل" ، لفردريك كوبلستون ، ٨/ ٣٩٥.

ألغى كلاً من الموضوع والذات، فلا وجود حقيقي إلا للمطلق، ورفع العقلي النقدي، من شأن الفكر، وجعل الواقع محققًا لمصداقية الأفكار، فوحد بين الوجود والحقيقة(١).

ويستخلص "رويس" من خلال نقده للمذاهب الثلاثة السابقة بما تضمنته من مفاهيم عن الوجود مفهومًا أطلق عليه اسم المفهوم الرابع للوجود أو (المفهوم المثالي للوجود)، والذي يمثل حلقة وصل وربط تضم المفاهيم الثلاثة السابقة للوجود، فالمفهوم المثالي للوجود عند" رويس" "هو ما يجسد المعنى الداخلي الكامل لنسق معين مطلق من الأفكار، يكون متضمنًا بالفعل في المعنى الحقيقي الداخلي الكامل، لكل فكرة محدودة وجزئية أو في هدفها"(٢).

وبعبارة أخرى "ما يكون" يعني، ببساطة، التعبير عن المعني الكامل لنسق مطلق معين من أفكار، أو تجسيده – أعني نسقًا يكون، علاوة علي ذلك، متضمنًا بصورة حقيقية في المعني الداخلي الحقيقي أو غرض كل فكرة متناهية، مهما كانت متفرقة (٣). يتبين من هذا أن الوجود معناه الظهور في العالم الخارجي بما يعبر عن المعني أو الهدف الذي يتجسد في الفكرة.

ومن الملاحظ أن هذا المفهوم الرابع للوجود يتسق مع المفهوم الواقعي للوجود، وبالضبط في القول إن للموضوع سلطة على الفكرة، وبأن ما يوجد لا بد وأن يكون فرديًا، ويختلف معه في تحديد معنى الفردية، كما يتسق أيضًا هذا المفهوم المثالي مع المفهوم الصوفي في القول إن الوجود هو الذات أو

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص١٦١.

(٢) العالم والفرد، لجوزايا رويس ، ١/ ٤٣، وينظر: معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيين إلى ما بعد الحداثيين، للشريف طوطاو، ص ١٤٥.

(٣) تاريخ الفلسفة " من بنتام إلي رسل" ، لفردريك كوبلستون ، ٣٩١/٨.

هو "أنت"، وإن اختلفوا في تحديد معنى الذات، كما يتفق مع المفهوم العقلي النقدي في أن الوجود يتضمن بالضرورة ما يحقق للأفكار مصداقية. فقد ضم "رويس" لمفهومه الخاص للوجود عنصرًا من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، فالوجود الحقيقي يشبه فكرة مقصودة من وعي معين، وهناك علاقة غائية بين الفكرة والموضوع الذي يقصد تحديده ويحقق معناه الداخلي والخارجي، وبالتالي يمكننا القول إن رويس قد نجح في التوفيق بين المفاهيم الثلاثة في شكل مفهوم واحد وهو المفهوم المثالي(١).

ويقدم "رويس" بهذا المفهوم المثالي للوجود حلاً لإشكالية العلاقة بين الفكر والواقع (الفكر والموضوع)، بين الكلي والجزئي، بين الكمال والنقصان، وذلك بالتركيب والتوفيق بين المذاهب الثلاثة السالفة الذكر، فكل ثنائية من الفكرة والموضوع أو من الجزء والكل، تعد، في نظره، لاحقة أو معاونة للإرادة أو للهدف الذي تجسده الفكرة بصورة جزئية، وتجسده الحياة الفردية الكاملة للموضوع بصورة كلية. وطبقًا لذلك، إذا أردنا التعبير عن الحقيقة كلها، فلا نقول، حسب رويس، "إن الفكرة توجد أولاً، ثم يوجد الموضوع ثانيًا، ثم يتطابقان ثالثًا، ففي هذه الحالة نتعامل مع مجردات، ونسعى للآخر الخاص بنا، أي نبحث عن معنى هذه المجردات وهدفها، ولا نقدم تعريفًا للحقيقة أو للوجود، لذلك فالصواب في نظره هو أن نقول: "إن هناك حياة متجسدة، ومعنى متحققًا، وهدفًا تم التعبير عنه تجريبيًا، وكل فردي حقق غايته ونهايته، يقول رويس: "فهذا ما نعنيه حين نتحدث عن الواقع، فليس الوجود إلا هذه الحياة كلها، وتعد فكرتي حين أتحدث عن موضوع جزءًا من

(١) المرجع السابق ، لأحمد الأنصاري ، ص ١٥٤، ١٥٥.

هذه الحياة، وفي الوقت نفسه من حيث تحققها النسبي نمطًا عامًا. فتبحث فكرتي بوصفها جزءًا عن الباقي المكمل لها، وتهدف بوصفها نمطًا من التحقق الناقص إلى الخبرة الكاملة لكل هذا النمط"[١]. وهكذا يوحد رويس بين الفكرة والموضوع، فالموضوع يوجد عنده لا لكونه مطابقًا للفكرة، بل لأنه يعبر عن الهدف العقلي المجسد في كل فكرة جزئية، ويكون وجوده تجريبيًا فرديًا.

ويذهب "رويس" مذهب "هيجل" في التوحيد بين الفكر والواقع(الموضوع)، فالوجود واحد لا يقبل القسمة الثنائية، على خلاف ما ذهب إليه العقليون والواقعيون على السواء في فصلهم بين الفكرة وموضوعها، غير أن رويس لا يلتزم بمذهب هيجل التزامًا كليًا بالنظر إلى إدخاله عناصر جديدة في نسقه المثالي مثل عنصر الإرادة الذي أخذه عن المذهب الرومانسي[٢] وعنصر الفردانية الذي أخذه عن المذهب البراجماتي، وهو ما يتجلى في قوله: "ولما كانت الفكرة تشكل مع موضوعها شيئًا واحدًا، فإن بحثها عن آخرها لا يكون إلا بحثًا عن نفس إرادتها في حياة عقلية وتجريبية. وتكون هذه الحياة

---

(١) العالم والفرد، لجوزايا رويس ،١/ ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) المذهب الرومانسي: يطلق اسم المدرسة الرومانسية بالمعني الضيق على مجموعة من الشباب الذين ولدوا في الفترة من عام ١٧٦٥م إلى عام ١٧٧٥م، وكان من أبرزهم " أغسطس شليجل"، وأخوه " فردريك"، و" لورفيج تيك"، والرومانسي الدرامي " نوفالس" الذي كان اسمه الحقيقي " فردريك ف". هاردنبرج"، والفيلسوف شلنج "، واللاهوتي " شيلر فاضر"، حاولوا تجسيد الفلسفة في حركة أدبية، وترجمة حياتهم إلى فلسفة، وأفكار هؤلاء الرومانسيين كما يقول رويس "لا تنتمي إلى مجال الفلسفة البحتة، بالمعني الدقيق لكلمة فلسفة، ولكنها لا تخلو من دلالات ميتافيزيقية". ينظر: روح الفلسفة الحديثة، لجوزايا رويس ، ص ٢٢٩، ٢٣٣ .

موجودة ما دام أن كل فكرة صادقة كانت أو كاذبة نسبيًا يكون لها موضوع، تتضمن مثل هذا الإشباع، وتفرض مثل هذا التحقق في تلك الحياة، ولذا يتحد "هذا" مع "ماذا"، فتكون "ماذا" الموضوع عبارة عن فكرتي في هذه اللحظة، ولا تعرف ماهيته بصورة ناقصة فقط، وإنما تعبر عنه بصورة جزئية. أما أي وجود موضوعي فإنه يعد موجودًا حقيقيًا ما دامت ماهية الموضوع قد تم التعبير عنها تجريبيًا في حياة فردية تمثل عالمي الواقعي. ولذلك على الرغم من تأكيد الواقعية أن "ماذا" (سؤال الماهية) لا يمكن أن تحدد مسبقًا "هذا" (هذا يرمز إلى الوجود الموضوعي المتحقق)، ولا يمكن أن تثبت الماهية الوجود واعتبارها ذلك أمرًا مسلمًا به من قبل الميتافيزيقا الشعبية، فإننا قد اكتشفنا كيف تحدد "هذا" أي "وجود العالم" مسبقًا "ماذا" أو "ماهية" الأشياء، وأصبحت واقعة وجود العالم من أكثر الوقائع تعينًا وتجسيدًا" (١).

ويرى "رويس" أن الفكرة إذا لم تجسد في الواقع، وإذا لم تجد تعبيرها وتحققها في العالم التجريبي فلا تكون فكرة صحيحة، بل إنها لا تمثل أية حقيقة، فيقول في ذلك: "لا يمكن أن يفشل العالم الواقعي على الرغم من فشلنا وأخطائنا في التعبير عن العقد الحقيقي لأفكارنا وعن معناها الداخلي. بمعنى آخر، لا يمكن أن تظل الأفكار ما دامت متسقة مع هدفها المثالي الكامل غير متجسدة في حياة عينية لخبرة فردية؛ لأنها إذا ظلت غير معبر عنها لا يمكن أن يأخذ معناها النهائي إلا صورة الفروض التي تبدأ قضاياها بكلمة "إذا". وتصبح النتيجة النهائية هي إذا ما حدثت تعبيرات تجريبية معينة سوف تظهر نتائج مثالية معينة. ولقد سبق أن رأينا كيف أن الصحيح أو ما يوصف بأنه

---

(١)العالم والفرد، لجوزايا رويس، ٢٩٧/١، وينظر: معجم الفلاسفة الأمريكان، للشريف طوطاو، ص ١٤٦.

حقيقي دون تحقق عيني لا يكون صحيحًا أو حقيقيًا على الإطلاق(١).

ويقدم أيضًا المفهوم المثالي للوجود عند "رويس" الأساس الميتافيزيقي لكثير من المسائل الدينية، فدائمًا ما تعد مسألة وجود العالم والفرد، وعلاقة الأفراد بالعالم من جهة، وعلاقة كل من الفرد والعالم بالله من جهة أخرى، من المسائل الدينية التي تحتاج إلى تفسير. فيقرر الدين أن الله كائن عاقل مفرد يحكم العالم باعتباره وحدة واحدة، ويؤكد من جهة أخرى على تعدد الأفراد وحريتهم الأخلاقية، ولذلك دائمًا ما يظهر التساؤل عن كيف تتحقق وحدة العالم في ظل تعدد الأفراد؟ وعن كيف يكون العالم تعبيرًا عن إرادة إلهية واحدة وعن الإرادات الإنسانية المتنوعة والمختلفة في الوقت نفسه؟ والواقع أن المفهوم الرابع للوجود يؤكد على وحدة العالم من جهة، وعلى الاستقلال النسبي للأفراد من جهة أخرى، ولا يوجد تعارض بين التأكيدين(٢). وهكذا فإن دراسة الوجود عند رويس تعد الأساس الميتافيزيقي لكثير من المشكلات الدينية.

****

(١)المصدر السابق، لجوزايا رويس ، نفس الجزء والصفحة .

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الانصاري، ص ١٥٦.

المطلب الرابع: ميتافيزيقا النفس عند جوزايا رويس

النفس من أكثر الموضوعات الميتافيزيقية غموضًا، والتي تناولها كثير من الفلاسفة، فبحثوا عن مفهومها وطبيعتها وحريتها وخلودها، وكان "جوزايا رويس" من الفلاسفة الميتافيزيقيين الذين لم تخلُ أبحاثهم من الحديث عن النفس، وخاصة النفس الإنسانية.

وترتبط النفس عند رويس بالوجود إذ يطبق مفهومه الرابع للوجود (المفهوم المثالي) على الذات بوصفها موجودًا فرديًا [١]. إذن فما مفهوم النفس عند رويس؟

أولاً- مفهوم النفس الإنسانية وطبيعتها عند جوزايا رويس:

يرى "رويس" أن الفهم الصحيح للنفس يبدأ بوضع تعريف لها، فيلاحظ أن هناك تعريفات كثيرة للذات الإنسانية، منها ما يعتبر الأنا التجريبي اللحظي، الذي يدركه الفرد مباشرة، هو الذات الحقة للفرد، ومنها ما يعتبر النفس جوهرًا روحيًا يحل في البدن، ومن هذه التعريفات أيضًا ما يقسم النفس إلى قسمين أو ذاتين ذات طبيعية وأخرى روحية، أو ذات سفلى وذات عليا، وقد أدت هذه التعريفات المتعددة والمتناقضة في نظر رويس في معظم الأحيان إلى مشكلات عديدة يصعب حلها، منها ما يتعلق بوجود النفس وأصلها[٢].

ويؤكد "رويس" على أن الذات الإنسانية الحقة ليست جوهرًا، ولا تحل في البدن، ولا هي الأنا التجريبي اللحظي، وإنما هي هدف مجسد في حياة واعية، وتتضمن وحدتها وتفردها، تفرد وحدة تلك الحياة، ولذلك تختلف

---

(١) العالم والفرد، لجوزايا رويس ، ٢/ ٩.

(٢)فلسفة الدين عند جوزايا رويس، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٧٦.

صورة الوعي التي يتحقق فيها تجسدها وتعبيرها النهائي، عن أية صورة من صور الوعي الحاضر(١). ويعني هذا أن النفس عند رويس هي أحد أهداف الله في الكون، وتحقق فرديتها من كونها تعبر عن هدف إلهي فريد خاص بها.

ويرى "رويس" أن غموض النفس، وظهور التفسيرات المتناقضة لها، يعود إلى واقعة أن الذات الإنساني، لا يكون معزولًا عن باقي النفوس الفردية الأخرى، أو عن الحياة الباطنية للطبيعة كلها، أوعن النظام الأخلاقي الذي يحوي هذه النفوس وتلك الحياة الباطنية، وبالتالي لا يمكن معرفة الأنا الحقة إلا بالتعالي علي حياتها اللحظية، وأهدافها المحدودة ومن التفسير العميق لهدفها الأخلاقي، ومثلها الأعلى (٢). يقول رويس "إذا أردت التحرر من هذه التناقضات الميئوس منها يجب ألا تتجه إلى الجوهر الروحي الذي قال به المذهب الواقعي، وإنما تبحث عن المعني الأخلاقي العميق لحياتنا الحاضرة. فإذا ما تحقق ذلك تستطيع أن تحصل علي مفهوم للذاتية والفردية"(٣).

ويعتمد "رويس" علي المفهوم المثالي للوجود لكي يوضح وجود النفس وطبيعتها، فتؤكد نظريته التي صاغها علي أن الفرد يشعر بالتقابل بين الأنا واللاأنا، والذي يظهر كتقابل بين "المعنى" أو "الهدف" الداخلي والخارجي لأية لحظة جزئية، فتكون الأنا هدفًا باطنيًا، أي شعور بالنقص والحاجة إلى التعبير عن هدف، ويكون "اللاأنا" هدفًا خارجيًا لها، وتجسدًا لهدفها ومعناها

---

(١)العالم والفرد ، لجوزايا رويس، ١٨٥/٢، و ينظر : المرجع السابق، لأحمد الأنصاري، نفس الصفحة.

(٢)المرجع السابق، لأحمد الأنصاري ص٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) العالم والفرد، لجوزايا رويس ، ١٨٦/٢.

الباطني، ولذلك فالنفس عند رويس تكون بالمعنى الضيق هي "الفكرة"، والتي ينظر لها كمعنى داخلي، ويكون "اللاأنا" في هذه الحالة هو كل باقي الحياة الواعية أو العالم الخارجي، أي "الآخر" الذي يقابل هذه "الفكرة"، وبذلك يمكن أن تكون كل فكرة محدودة ذاتًا. ويستطيع الفرد مقارنة الأنا الحاضر "الفكرة" مع أية خبرات ماضية أو مستقبلية، أو مع أي فرد آخر، أو المجتمع ككل، أو مع كل الحياة الواعية التي ينتمي إليها الإنسان، أو حياة الله كلها(١).

ويرى "رويس" أن كل مقارنة بين "الأنا" و"اللاأنا" عبارة عن إرادة ناقصة في مقابل تجسدها الكامل، الذي يتطلب المقارنة بين "الأنا" المحدود، وبين الآخر الذي ترغبه، أي عالمها من المعاني والأهداف الخارجية. ويتوقف نوع التباين أو الوحدة وعمقها وامتدادها، بين الأنا واللاأنا على نوع "المقارنة" ودوافعها، ونمط حياة اللاأنا، التي تحدث المقارنة معه، ولذلك لا يوجد هناك مبدأ عقلي واحد ثابت وراء الأنا(٢).

ويقرر "رويس" أنه على الرغم من عدم وجود هذا المبدأ العقلي فعلى الفرد أن يخلق لنفسه مبدأ يكون محددًا وثابتًا ومستمرًا، ويستطيع من خلال المقارنة معه أن يحدد ما يسميه حياته أو ذاته الخاصة والتي بمعرفتها يصبح الفرد قادرًا على أن يقارن بين هذا الذات الواسع (ذاته) وكل باقي حياة العالم أو ما يسمى "اللاأنا" (٣).

---

(١)المصدر السابق ، لجوزايا رويس ، ٢/ ١٨٧، و ينظر : فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٧٧.

(٢) المرجع السابق ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٧٨.

(٣) المرجع السابق ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٧٩.

ثانيًا- أنماط النفس عند جوزايا رويس"

يتبين لنا مما سبق أن النفس عند "رويس" مرحلتان أو نمطان: "الذات الواسع التجريبي" و"الذات المثالي"، فما حقيقتهما عند رويس؟

١-(الذات الواسع التجريبي) أو الأنا التجريبي:

ينتج هذا النمط من النفس عند رويس من المقارنة بين الأنا الحاضر للفرد وخبراته الماضية والمستقبلية.

ويوضح "رويس" طبيعة هذا الأنا الواسع بأن حقيقته قد يكون اعتبار الأنا مطابقًا للهدف الباطني لأية لحظة عابرة من لحظات الوعي، يمكن أن يجعل الأنا مجرد تدريب أو لحظة زائفة من الحياة، أو عبارة عن جزء منفصل عن معناه الكلي، إلا أن الفرد يستطيع أن يوحد هذا الأنا اللحظي مع جزء من خبراته الماضية، وجزء من خبراته المتوقعة والمستقبلية، فيتكون لديه ما يمكن تسميته بـــ "الأنا الواسع" أو الأنا التجريبي [١].

ويفسر"رويس" سبب وجود هذا الأنا الواسع بأن الإنسان وإن كان يدرك أن هذه اللحظة الحاضرة من حياته، هي لمحة عن واجب أو مهمة معينة تم تكليفه بها باعتباره أحد تعبيرات الله في صورة إنسانية، إلا أنه يدرك مع ذلك أنه مهما بلغ ثراء حياته الفردية، ومهما نجح وتمكن من إنجاز واجبه أو مهمته، فإنه يجب أن يظل محافظًا على وحدته وفرديته، وأن تبقى حياته مباينة لحياة الآخرين وحياة الله، حقيقة أن الهدف الكلي للأنا الفردي أو لأي ذات فردية، يكون متوحدًا مع حياة الله كلها، ولكن يكون الفرد مدركًا أن هذا الهدف الكلي الذي ترتبط به حياته يعبر عن نفسه في نسق من النفوس

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٧٩.

المتباينة والمعاونة، ولذلك يكون الفرد متواحدًا مع الإرادة الإلهية، في أية لحظة من لحظات الوعي ولكنه يكون مدركًا في الوقت ذاته، بأن الإرادة الإلهية تتجلى في نسق من النفوس المتباينة والمتوحدة في الهدف، لأن الوحدة الحقة تتطلب دائمًا وجود التباين والاختلاف(١).

وهذا يعني أن الأنا الواسع عند "رويس" يتصف بالذاتية والفردية؛ لأنه وإن كان الفرد متوحدًا في الهدف مع إرادة الله وحياة الآخرين، لكن الوحدة الحقيقية تظهر بوضوح في الاستقلالية والتنوع والاختلاف بين النفوس.

١- الأنا المثالي:

ينتج هذا النمط من النفس عند "رويس" من المقارنة بين الأنا الواسع واللاأنا الخارجي "أي عالم الآخرين وعالم الطبيعة وعالم المطلق"، ويخلقه الفرد بعد تكوين "الأنا الواسع"، فالذات الحقة (الأنا المثالي) ليست جوهرًا روحيًا يحل في الإنسان، وإنما يحدد الفرد ذاته ويخلقها، فطالما كان للفرد خطة حياتية، ومثل أعلى يسعى لتحقيقه، وكان لديه العزم على المحافظة على فرديته، وتحقيق ذاته الواسع، وتأكيد تباينه وتميزه عن بني جنسه، بالرغم من توحده معهم في الخطة الإلهية، فإن الفرد يكون له ذات أو يكون "قد صنعها"، فلا تكون "الأنا" الحق لأي فرد إنساني مجرد معطى مباشر، يدركه الفرد بالحس أو بالعقل، في أفعاله، أو في أفكاره، وإنما مثل أعلى يسعى إليه، ولا يستطيع الإنسان أن يعرف وجوده، بأية صورة مباشرة، بل يعرف بطريقة غير مباشرة إنه موجود، ويعرف أنه ذات فردية، طالما كان كل "هدف

(١) المرجع السابق، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

باطني" في خبرته الحاضرة، يدفعه ويوجهه نحو شيء آخر غريب عنه، من أجل تفسيره وتحقيقه(١).

ويضيف "رويس" إلى ذلك أنه إذا كان الهدف الباطني يتطلب أن يكون الفرد واعيًا بنفسه، باعتباره ذلك الفرد المختلف عن باقي العالم، فإنه يتضمن من أجل تجسده، نوعًا من التباين بين الأنا واللاأنا، فيتأكد الفرد من وجوده، عندما يتأكد من طبيعة الوجود بصورة عام، ويتأتى اليقين بوجود اختلاف وتباين بين الأنا واللاأنا، من النظرة الشاملة للوجود والواقع ككل(٢).

ويؤكد "رويس" على أن الفرد إذا ما اعتمد على الخبرة التجريبية المباشرة لمعرفة ذاته واكتشافها، فإنه يواجه بمفاهيم غامضة متناقضة حولها، فيشعر بالاختلاف والتباين مع الآخرين، ولكنه لا يستطيع أن يقرر في أية لحظة أنه قد وجد بالفعل لذاته، كذلك يلاحظ أنه عندما يسأل "فرد ما" عن ذاته أو ماذا يكون؟ فإنه غالبًا ما يوجه الانتباه إلى أحداث تجريبية في حياته، كذكر اسمه، ووضعه الاجتماعي وعمله، ومحل إقامته، ولكنه لا يكون في كل تلك الأوصاف ذا دلالة فردية، ولا يستطيع من خلالها معرفة ذاته الحقة. بينما حين قيامه بارتكاب فعل لا أخلاقي، دائمًا ما توجه له النصيحة من قبل الآخرين، بأن يكون ذاته، سواء كان يعرفها أو لا يعرفها، أي لا بد أن تكون له "خطة" حياتية معينة، ومثل أعلى يقصده دائمًا، وهدف محدد يسعى إليه باستمرار، وفي تلك الحالة تتحدد النفس، ويتم معرفتها في ضوء المثل الأعلى والعمل الإرادي الذي تحققه، فإذا ما أدى هذا المثل الأعلى إلى شعور

---

(١) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٨١.

(٢) المرجع السابق ،لأحمد الأنصاري ، نفس الصفحة.

الفرد بالتباين والتميز عن الآخرين، باعتباره خادمًا لله، ويقوم بعمل فردي فإن الفرد يكون قد حدد من يكون، وعرف ذاته، حقيقة أن كل نفوس الأفراد تتحد مع الله، فهناك بالفعل ذات واحدة مطلقة، إلا أن هذه الذات المطلقة تحوي النفوس الفردية المختلفة، وتسمح بوجود التباين بينهم، وبالرغم من وحدة الفرد مع الكل، فإنه يظل محافظًا على فرديته وتميزه عن الآخرين(١).

نستخلص مما سبق أن الأنا المثالي عند رويس هي الذات الحقة التي يخلقها الفرد باستمرار بطريقة غير مباشرة في ضوء أمرين: الأول وجود مثل أعلى يسعى الفرد لتحقيقه، والثاني حفاظه على فرديته وتميزه عن الآخرين على الرغم من وحدته معهم.

ومجمل القول إنه إذا بحثنا عند "رويس" عن طبيعة الذات بمعنى وراء ما هو تجريبي (أي تصور ميتافيزيقي) فإنه يجب علينا أن نتصورها بألفاظ أخلاقية، لا عن طريقة ماهية النفس؛ لأنه عن طريق امتلاك مثل أعلى فريد، ورسالة فريدة، ومهمة في الحياة فريدة هي ما يعنيه ماضي، وما يحققه مستقبلي أكون ذاتًا محددة ومخلوقة(٢).

ثالثًا- حرية النفس:

وبالنسبة لإشكالية حرية النفس وجبريتها، وهي أيضًا من أعقد المسائل الميتافيزيقية، يرى "رويس" أن هدف المطلق المعبر عنه في هذا العالم ليس واحدًا فقط وإنما مركب من مجموعة من الذوات، وليست وحدته إلا وحدة تضم العديد من الإرادات التي تعبر كل واحدة منها عن تعبيرها الذاتي في

---

(١) المرجع السابق ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٨١، ص ٣٨٢.

(٢) تاريخ الفلسفة "من بنتام إلى رسل" ، لفردريك كوبلستون ، ٨/ ٣٩٩.

حياة فردية، ويكون لهذه الحيوات جانب حر ما دامت تحدد كل شيء بالرغم من حدودها الذاتية [١].

وبينما كانت حياة كل ذات متناهية هي "من وجهة النظر الميتافيزيقية" مساهمة فريدة في تحقيق الغرض العام لله، اضطر"رويس" بالفعل أن يسلم بأنه عندما أرغب، فإن الله يرغب فيَّ، وأن فعلي هو جزء من الحياة الإلهية، غير أن هذا الاعتراف، كما يرى، يتطابق تمامًا مع القول إن الذات المتناهية يمكن أن تفعل بحرية، لأنه عن طريق الواقعة الخالصة التي تقول: إنني التعبير الفريد للإرادة الإلهية، فإن الإرادة التي تصدر منها أفعالي هي إرادتي أنا. "إن فرديتك في فعلك هي حريتك"، أعني أن طريقتي في التعبير عن الإرادة الإلهية هي ذاتي، وإذا صدرت أفعالي من ذاتي فإنها تكون أفعالاً حرة، إن هناك بالفعل معنى يكون صحيحًا فيه أن تقول: إن الروح الإلهية تجبرنا، ولكن "بمعنى أنها تجبرك على أن تكون فردًا، على أن تكون حرًا"[٢].

ويعتقد "رويس" أنه طالما يعترف الفرد بوجود عالم واحد، وبأنه تعبير عن إرادة الله، وقصد أن يحتل مكاناً فرديًا في هذا العالم، فإن الإرادة الإلهية تعبر عن نفسها من خلاله، وطالما أن إرادة الله واحدة، وتجد كل حياة فريدة هدفها الفريد فيها، فإن الأنا يكسب إرادته ويستمد حريته وتفرده من علاقته بالله[٣].

ويعتبر رويس كل إرادة فردية في حد ذاتها إرادة حرة وسط كل الإرادات التي تعبر عن حياة العالم؛ لأنها بسبب تفردها لا تكون مشتقة من هذه

---

(١)العالم والفرد ، لجوزايا رويس ، ٢/ ٢٢٥.

(٢) المرجع السابق ، لفردريك كوبلستون ، ٨/ ٤٠٠.

(٣) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٨٤.

الإرادات الأخرى، ويتصف نظام العالم بأنه زمني لأننا نعلم أن الزمن يمثل الصيغة الكلية لتعبير الإرادة، ويكون هذا النظام نفسه نظامًا أبديًا بسبب اتصال الماضي والحاضر والمستقبل بالوجود، ويتطلب وجودهم حسب التعريف حضورهم جميعًا معًا أمام البصيرة النهائية، وتعني الأبدية وجود الزمان ككل" (١).

إذن حسبما يري "رويس" حياتنا تفصيلات بداخل تجربة اللوجوس المنسجمة منذ الأزل. ومع ذلك تحدد اختياراتنا الخاصة أفعالنا، ونكون بالنسبة لها أحرارًا ومسئولين أخلاقيًا. صحيح أن كل فعل نقوم به في تتابع الأحداث في الزمان تكون له علله، لكن تتابع الأحداث في الزمان الذي نحلله تحليلاً عليًا لا ينتمي إلا إلى عالم الوصف، إن كلاً منا له فرديته الفريدة الخاصة، وله قيمته الخاصة بالنسبة لله، ولا أحد منا يستطيع أن يحل محل الآخر، ونحن عندما ندرك هذا التفرد كما ندرك قيمتنا الخاصة، ونكون ملهمين بسبب ذلك، فإننا نكون أحرارًا، وعندما لا نفعل ذلك فإننا نقع في العبودية، ونكون غير أحرار(٢).

ويرى "رويس" أنه تكون أفعالك مقيدة تمامًا من وجهة النظر الزمنية، وفي الوقت نفسه حرة تمامًا من وجهة نظر الأبدية، وذلك لأنك تدخل في النظام الإلهي بطريقتين، ففي هذا العالم تعد واقعة من وقائع الزمن، وأحد أفراد سلالة الحيوان، مخلوق تتميز بالعقل، ومقيد بطبيعتك منذ الأزل، ولكن النظام الزمني كله، يكون بالنسبة للذات المطلق، الذي تشارك فيه، وتعد جزءًا منه مجرد طريق ينظر به للحقيقة، فكل النظام الأبدي يكون أمامه في لمحة

(١) المصدر السابق، لجوزايا رويس ،٢/ ٢٢٦.
(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، لوليم كلي رايت ، ص ٤٧٤.

واحدة، والفعل الذي اختار به ليس فعلاً زمنيًا، وإنما فعل مجاوز للزمن، ومع ذلك فهو فعل تشارك فيه، وتختار هذا العالم الذي يضمك، وتعد واقعة من وقائعه [١].

ويشبه رويس في رأيه هذا الفيلسوف "سبينوزا "الذي يعتقد أن الناس يكونون مستعبدين وغير أحرار طالما أنهم ينظرون إلى أنفسهم علي أنهم مجرد حلقات في سلسلة الأحداث المؤقتة ؛ لكن طالما أنهم يستطيعون أن يتجاوزوا الزمان، وينظروا إلى أنفسهم من منظور الأزل، وينشغلوا بالحب العقلي لله فإنهم يكونون أحرارًا، إلا أن رويس يشدد كثيرًا علي القيمة الفردية للأفراد، ويجعل الله يشارك تمامًا في كل حياتنا الواعية ويدركها مباشرة بطريقة أكثر تعاطفًا وتخلو قليلًا من الصفة الشخصية[٢].

تعقيب:

إذا كانت النفس عند "رويس" لا تحقق حريتها وتفردها إلا من خلال علاقتها بالمطلق (الله) ووحدتها به، فإن الفرد لا يشكل ذاته إلا وفق مشيئة الله وإرادته، فليست إرادته إلا صورة من صور تجسد الإرادة الإلهية. ولا يستمد الفرد حريته إلا باعتباره أحد أفعال الله. ويأتي هذا الرأي لرويس قريبًا من مذهب "الأشاعرة"[٣] في أفعال العباد، ومدى تعلقها بإرادة الله تعالى، فقد

---

(١) روح الفلسفة الحديثة ، لجوزايا رويس ، ص ٤٥٧.

(٢) المرجع السابق ، لوليم كلي رايت ، نفس الصفحة.

(٣) الأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت:٣٢٤هـ) كان في بداية أمره من المعتزلة ثم قطع ارتباطه بهم ، واعتنق المذهب الشافعي ، ويعد الأشعري مؤسس علم الكلام في القرن الرابع الهجري . ينظر: وفيات الأعيان ، لابن خلكان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ٢/ ٤٤٦، ٤٤٧ ، ط : القاهرة سنة ١٩٤٨م .

ذهبت "الأشاعرة "إلى أن للإنسان إرادة وقدرة خاصة، ولكن هذه الإرادة والقدرة ليست هي التي تؤثر في إحداث الفعل، بل هي نفسها خاضعة لإرادة الله ومخلوقة له(١).

رابعًا- خلود النفس:

تنكر بعض صور المذهب المثالي المطلق، مثل مثالية "بوزانكيت"(٢)، الخلود الفردي، فلما كان الفرد متناهيًا، فهو محدود، ولا توجد السعادة الأبدية إلا في انغماس كامل في المطلق، وفقدان كل هوية شخصية. يقول "بوزانكيت": " نحن أرواح، وحياتنا متحدة بالروح التي هي كلية وخير، ومن ثم فنحن خالدون بالتأكيد، وبطريقة أو بأخري فإن دينك يعطيك هذه الثقة. وهذا أمر ليس للمناقشة ولا للمحاولة في جذب ما تحب أن تعتقد فيه، وما يعطيك القوة، إنه فقط طريق التمسك بالمركز"(٣).

أما "رويس" فهو على العكس، يقوم بمجهود مثابر من أجل المحافظة على الخلود الشخصي للأفراد، وجعلهم مع ذلك مشاركين أصليين في الحياة

---

(١) معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطي، لعبده فراج ، ص ٦٣.

(٢) بوزانكيت (برنارد)Bosanquet Bernard (١٨٤٨-١٩٢٣م): إنجليزي، تعلم باكسفورد وعين أستاذًا بها، وانتقل إلى لندن ومات بها ، وكان بوزانكيت فيلسوفًا مثاليًا، تأثر بجرين وهيجل وبرادلي، أهم كتبه "المعرفة والواقع"، و"المنطق أو مورفولوجيا المعرفة"، و"علم النفس والذات الخلقية"، و" نظرية فلسفية للدولة"، و" ومبدأ الفردية والقيمة" و، قيمة ومصير الفرد". ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، لعبد المنعم الحفني ، ١/٣٣٤، ٣٣٥ .

(٣) أعلام الفلسفة الحديثة ، لعلى عبد المعطي ، ٢/ ١٣٢، ط : دار المعرفة الجامعية، ط الثانية، سنة ١٩٩٧م.

الإلهية، ومشاركين في الرؤية الأزلية التي يتحول فيها كل شر إلى خير[١].

فيرى "رويس" خلود الأفراد، ولا يغرقهم في "المطلق" على الرغم من أنهم جزء منه؛ إذ يعتقد ألا تناقض بين أن تبدأ الذات الفردية وجودها في الزمان – أعني ألا تكون أزلية– وبين أن يكون وجودها قائمًا إلى الأبد، فكل فرد إن هو إلا وجه متعين من أوجه الحياة الإلهية المطلقة، ويضرب لذلك مثلاً جيدًا يصور ما يريد، وهو مثل يسوقه من الأعداد، فمن داخل سلسلة الأعداد اللانهائية تستطيع أن تستولد سلاسل، كل منها لا نهائي أيضًا، ومع ذلك فكل منها له طابع فريد يميزها، كما يتبين مما يأتي:

١	٢	٣	٤	...	...	إلى ما لا نهاية
٢	٤	٨	١٦	...	...	إلى ما لا نهاية
٣	٩	٢٧	٨١	...	...	إلى ما لا نهاية
٥	٢٥	١٢٥	٦٢٥	...	...	إلى ما لا نهاية
٧	٤٩	٣٤٣	٢٤٠١	...	...	إلى ما لا نهاية

فالسلسلة العددية الأولى – المكتوبة فوق الخط– وهي سلسلة الأعداد الصحيحة كلها، لا نهائية، وهي التي نصور بها هنا "المطلق" الذي يشتمل على كل شيء، وكل سلسلة مما تراه مكتوبًا تحت الخط، هي كذلك سلسلة لا

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، لوليم كلي رايت ، ص ٤٧٥، ٤٧٦.

نهائية، ومع ذلك فهي أولاً مشتملة في السلسلة الأولى، وثانيًا تتميز بطابع فريد يجعلها وحدة قائمة بذاتها، وكل واحدة من هذه السلسلات العددية المكتوبة تحت الخط نمثل بها فردًا من أفراد الإنسان، وواضح من هذا ألا تناقض بين أن يكون الأفراد أجزاء من المطلق، وأن يكونوا قائمين إلى الأبد بفرديتهم المتميزة(١).

تعقيب: لقد استخدم "جوزايا رويس"، أحد الأنساق المنطقية ذات الكيان الميتافيزيقي وهو "مفهوم السلسلة، والنسق المكون من سلاسل، وخاصة النسق العددي" لتفسير إشكالية خلود النفس، حيث يتصور المطلق بوصفه موجودًا لا متناهيًا، يضم بداخله كل النفوس البشرية، فتكون كل نفس منها فردية ولا متناهية في دوامها المستقبلي.

ويؤكد "رويس" علي رؤيته الميتافيزيقية لخلود النفس فيري أن الكون يكمن في واقع ذي كثرة عظيمة من ذوات فردية، كل ذات منها لا متناهية في دوامها المستقبلي، على الرغم من أن كل ذات في حالة الموجودات البشرية يكون لها بداية في الزمان، وتتكون بقية الكون – فيما عدانا نحن، من موجودات واعية مزودة بأعمال زمنية تختلف عن أعمارنا نحن– لا نعرف شيئًا عن إدراكاتها الداخلية، إن كل تجارب جميع الأفراد موجودة داخل عقل المطلق الذي يشمل كل شيء، ونحن خالدون بداخل المطلق من حيث إننا أفــراد فريدون وسنشارك في الحياة المستقبلية بصورة أكثر كمالاً،

(١) حياة الفكر في العالم الجديد ، لزكي نجيب محمود ، ص ٧٧، ٧٨.

في رؤية المطلق التي تشمل كل شيء، دون أن نفقد هويتنا الشخصية[١].

أما عن ظاهرة الموت، فيري رويس أنه عندما يموت الإنسان، فإن الموت يكون ممكناً فقط، لذلك فإن إمكانية وجود الموت كواقعة ميتافيزيقية، وفي عالم تعبر وقائعه عن وعي ما، يستند إلى حقيقة واحدة، وهي أن من يفني دون تحقيق هدفه يحيا في العالم الأبدي، باعتباره فردًا ليري أن هدفه تحقق أخيرًا في حياة لاحقة[٢].

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، لوليم كلي رايت ، ص ٤٧٦، ٤٧٧.

(٢) فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، لأحمد الأنصاري ، ص ٣٩٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وعلي آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فبعد هذا العرض لموضوع "الميتافيزيقا عند "جوزايا رويس ١٨٥٥/١٩١٥م عرض وتحليل" أستطيع إيجاز أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث علي النحو التالي:

أولًا: أهم النتائج:

١. إن "جوزايا رويس" فيلسوف أمريكي ميتافيزيقي ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي، وعلى الرغم من تأثره الواضح بالاتجاه المثالي بوجه عام، والهيجليين الجدد بوجه خاص إلا إننا لا يمكن أن نتجاهل تأثره بشكل ما أو بآخر، سواء بالفلسفة البراجماتية أو، بالفلسفة المدرسية في العصور الوسطي.

٢. اهتمت الميتافيزيقا عند "جوزايا رويس"، بدراسة الوجود والمعرفة في آن واحد أو الأنطولوجيا والأبستمولوجيا معًا. الأمر الذي يعكس تأثره بهيجل.

٣. وجود علاقة وثيقة بين الميتافيزيقا عند "جوزايا رويس" وبين نظريته المنطقية، حيث يؤسس المنطق عنده لنظرية ميتافيزيقية أو دينية، ويعالج الكثير من المشكلات الميتافيزيقية.

٤. يعد "جوزايا رويس" من الفلاسفة الميتافيزيقيين، أصحاب المذهب الواحدي المطلق الذي يري أن الكون ككل، كوحدة واحدة، كمطلق، بمعني أن كل شيء يتحد في واحد أو في وحدة مركبة تحوي كل شيء.

٥. إن المطلق هو أساس الميتافيزيقا عند جوزايا رويس، وهو الواحد الذي تستغرق ذاته الذوات الفردية كلها.

٦. إن "رويس" قد طور دليلًا جديدًا علي وجود المطلق (الدليل المعرفي)، يري أن كل خطأ لا بد له من صواب، والباطل لا يمكن أن نتصوره بدون مقابلة الحق، ووجود الخطأ دليل علي وجود الحق أي دليل علي وجود الله، بينما جاءت باقي أدلة رويس للبرهنة علي وجود المطلق، وكذلك سمات وأوصاف المطلق عنده بصورة تقليدية إلى حد ما، يظهر فيها تأثر رويس بالفكر المسيحي والفلسفة المثالية والبراجماتية.

٦- تعد المعرفة عند "رويس" مدخلًا وتمهيدا للميتافيزيقا، وفي نظرية رويس المعرفية يتدرج الفيلسوف من الشك إلى اليقين، فالشك(إمكان الخطأ) أولي خطوات المعرفة عند رويس، واليقين الذي يصل إليه رويس بعد مرحلة الشك يتمثل في "أن هناك فرقًا بين حالتي الصواب والخطأ"، أي أن هناك فكرًا تامًا وفكرًا غير تام، والفكر التام ما هو إلا جزء من فكر إلى شامل لا متناهٍ، يضم كل الأفراد المتناهية.

٧. تنقسم المعرفة عند "رويس" إلى قسمين: معرفة" بالإدراك المباشر"، تنشأ نتيجة الخبرة المباشرة سواء بموضوعات خارجية أو إحساسات داخلية، وهي معرفة لا يمكن وصفها ونقلها للآخرين كالآلام مثلًا، ومعرفة أخرى" بالوصف" يعبر عنها بكلمات اللغة وعباراتها، ولذلك يمكن وصفها ونقلها للآخرين في عالم الوصف، وهي معرفة يعتمد عليها العلم.

٨. إن المعرفة الحقيقية عند "رويس" هي المعرفة بالإدراك المباشر، ولا يتحقق هذا النوع من المعرفة إلا عن طريق الفلسفة، التي تمكن الفرد عند اتصاله بالحقيقة المطلقة والفكر الشامل في "عالم التقدير"، من إدراك الحقائق

والخبرات الذاتية إدراكًا مباشرًا.

٩. يرتبط الوجود عند "رويس" بنظريته في المعرفة، ويعني بالمفهوم المثالي للوجود "التعبير عن المعني الكامل لنسق مطلق معين من أفكار، أو تجسيده – أعني نسقًا يكون متضمنًا بصورة حقيقية في المعني الداخلي الحقيقي أو غرض كل فكرة متناهية، مهما كانت متفرقة".

١٠. إن "المفهوم المثالي" للوجود عند "رويس" قد توصل إليه من خلال نقده "للمفهوم الواقعي" للوجود بأنه إذ كان الهدف مستقلًا عن الفكرة، فلا يمكن أن يكون معروفًا، ونقده "المفهوم الصوفي" في وضعه الهدف في الفكر لأن الهدف يكون غير مفهوم كونه مفكرًا به، ونقده أيضًا "العقلية النقدية " لقولها: إن الهدف هو إمكانية محضة للتجربة، لكن قد يكون غير موجود في النتيجة.

١١. ترتبط النفس عند رويس بالوجود؛ إذ يطبق المفهوم المثالي للوجود على الذات بوصفها موجودًا فرديًا.

١٢. إن النفس عند "رويس" هي هدف مجسد في حياة واعية، وتتضمن وحدتها وتفردها، تفرد ووحدة تلك الحياة، ولذلك تختلف صورة الوعي التي يتحقق فيها تجسدها وتعبيرها النهائي، عن أية صورة من صور الوعي الحاضر.

١٣. إن الذات الحقة عند "رويس" هي الأنا المثالي التي يخلقها الفرد باستمرار بطريقة غير مباشرة في ضوء أمرين، الأول: وجود مثل أعلى يسعى الفرد لتحقيقه، والثاني: حفاظه على فرديته، وتميزه عن الآخرين على الرغم من وحدته معهم.

١٤. إن حرية النفس عند "رويس" وتفردها لا تتحقق إلا من خلال عــلاقتها بالمطلق (الله)، ووحــدتها به، فــإن الفــرد لا يشكل ذاته إلا وفق

مشيئة الله وإرادته.

١٥. يؤكد "رويس" علي خلود النفس فلا يغرقها في المطلق رغم أنها جزء منه، فلا تفقد الذات فرديتها وهويتها الشخصية، إذ إن كل ذات فردية، لا متناهية في دوامها المستقبلي.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١- يوصي البحث بأهمية دراسة الفلاسفة الأمريكان وخاصة الميتافيزيقيين منهم، وبيان دورهم في البحث الفلسفي الميتافيزيقي.

٢- كما من توصيات البحث استكمال الدراسة في فلسفة جوزايا رويس المثالية مع المقارنة بينها وبين مثالية هيجل.

٣- ويوصي أيضًا بدراسة النظرية المنطقية عند جوزايا رويس، وبيان أهميتها في فلسفته.

٤- ومن التوصيات أهمية دراسة النظرية الأخلاقية عند جوزايا رويس من خلال مقارنتها بالفكر الأخلاقي الإسلامي.

واخيراً أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يوفقني لعمل الصالحات، وتجنب السيئات إنه نعم المولي ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلي اللهم علي سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين.

الباحثة

ثبت المصادر والمراجع

- **أحمد الأنصاري: (دكتور)**

- فلسفة الدين عند جوزايا رويس، طبعة الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة، د.ت.

- **آرثر بينك:**

- "صفات الله "، ترجمة: إيهاب فاروق، المحرر العام: سامي فوزي، سلسلة الكلاسيكيات المسيحية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م.

- **أسماء عطا الله سويكر حسن: (دكتورة)**

- النظرية الأخلاقية عند جوزايا رويس، رسالة دكتوراه جامعة المنصورة، غير منشورة، سنة ٢٠٢٠م.

- **إمام عبد الفتاح: (دكتور)**

- "مدخل إلى الميتافيزيقا مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو "، طبعة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، اكتوبر سنة ٢٠٠٥م.

- **أندريه لا لاند:**

- موسوعة لا لاند الفلسفية، المجلد الأول، تعريب: خليل أحمد خليل، طبعة عويدات بيروت، الطبعة، الثانية سنة ٢٠٠١م.

- **أوغسطين(٣٥٤/٤٣٠م)**

- "مدينة الله "، ج ا، نقله إلى العربية: الخور أسقف يوحنا الحلو، طبعة دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ٢٠٠٦م، ص ٣٧٤، ص٣٧٥.

- **"الجرجاني" السيد الشريف الجرجاني الحنفي(ت: ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)**

- التعريفات، طبعة مطبعة مصطفي البابلي الحلبي، القاهرة، سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

▪ **جميل حمداوي:**

- "الفلسفة الحدسية عند هنري برغسون"، طبعة دار الريف، المملكة المغربية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٩م.

▪ **جميل صليبا: (دكتور)**

- " المعجم الفلسفي" ج١ من (أ) إلى (ض)، ج٢ من (ط)إلى (ي)، طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، سنة ١٩٨٢م.

▪ **جوزايا رويس: (١٨٥٥م/١٩١٦م)**

- "الجانب الديني للفلسفة"، ترجمة: أحمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٩م.

- "روح الفلسفة الحديثة"، ترجمة: أحمد الأنصاري، المجلس الأعلى للثقافة ، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

- "العالم والفرد "المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود "، المجلد الأول ، ترجمة وتقديم: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى القاهرة سنة ٢٠٠٨م.

- "العالم والفرد " الطبيعة، الإنسان، النظام الأخلاقي"، المجلد الثاني، ترجمة وتقديم: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م.

- "مبادئ المنطق"، ترجمة: أحمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م.

▪ **جورج زيناتي: (دكتور)**

- الفلسفة في مسارها، مكتبة مؤمن قريش، طبعة بيروت، سنة ٢٠١٣م.

▪ **جورج طرابيشي:**

- معجم الفلاسفة (الفلاسفة- المناطقة – المتكلمون-اللاهوتيون- المتصوفة)، طبعة دار الطليعة بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

▪ **جوناثان ري وآخرون:**

- الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق محمودي، مراجعة وإشراف: زكي نجيب محمود، طبعة المركز القومي للترجمة القاهرة، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م.

▪ **جيرار ديلو دال:**

الفلسفة الأميركية، ترجمة: جورج كتورة، إلهام الشعراني، طبعة المنظمة العربية للترجمة بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.

▪ **حسن حنفي: (دكتور)**

- مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، طبعة القاهرة سنة ١٩٩١م.

▪ **حميد لشهب:**

- الكانطية الجديدة " رؤية تحليلية نقدية لمفهومها ومدراسها، طبعة المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

▪ **ديكارت "رينيه":(١٥٩٦ -١٦٥٠م)**

- مبادئ الفلسفة، ترجمه وقدم له وعلق عليه: عثمان أمين، طبعة دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٧٥م.

▪ **رواد الحسيني: (دكتور)**

- جوزايا رويس، فيلسوف التبصر الأخلاقي، مجلة الاستغراب عدد ٤، مجلد ٢، سنة ٢٠١٦م، المركز الاسلامي للدراسات الإستراتيجية – لبنان.

- **روزنتال.م –يودين.ب:**

- "الموسوعة الفلسفية "، لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة. صادق العظم، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

- **زكي نجيب محمود:**

- حياة الفكر في العالم الجديد، طبعة القاهرة مؤسسة هنداوي، طبعة سنة ٢٠٢٠م.

- **ابن سينا: أبو علي الحسين بن سينا: (ت٤٢٨ ه/ ١٠٣٧م)**

- النجاة " في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية " تحقيق: محي الدين صبري الكردي، مطبعة دار السعادة مصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

- " الشفاء" (الإلهيات) ،راجعه وقدم له: إبراهيم مدكور، تحقيق: الأب قنواتي و سعيد زايد، طبعة الأميرية القاهرة سنة ١٣٨٠ ه –١٩٦٠م.

- **الشريف طوطاو: (دكتور)**

- معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيين الي ما بعد الحداثيين، اشراف علي عبود المحمداوي، تقديم محمد الشيخ، طبعة مؤمن قريش، لبنان الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م.

- **صفاء عبد السلام جعفر: (دكتورة)**

- قراءة للمصطلح الفلسفي، طبعة دار الثقافة العلمية الاسكندرية، سنة ١٩٨٩م

- **عبد الله عبد الهادي المرهج: (دكتور)**

- الميتافيزيقا في فلسفة نيتشه، المجلة العربية للعلوم الانسانية – جامعة

الكويت مجلد ٢٨- عدد١١٢، طبعة سنة٢٠١٠م.

- **عبد الرحمن بدوي: (دكتور)**

- الموسوعة الفلسفية، طبعة المؤسسة العربية ، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.

- فلسفة العصور الوسطى، طبعة الكويت – ودار القلم بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩م.

- إمانويل كنت، طبعة الكويت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م.

- **عبد المنعم الحفني: (دكتور)**

- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، طبعة القاهرة، الطبعة الثالثة سنة٢٠٠٠م .

- موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج ١ أ: ض، ج ٢ط:ي، مكتبة مدبولي، طبعة القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ٢٠١٠م.

- **عبده فراج:**

- معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطي، طبعة مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩م

- **عزمي إسلام: (دكتور)**

- اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، طبعة وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الأولى، د.ت.

- **علي عبد المعطي محمد: (دكتور)**

- أعلام الفلسفة الحديثة، ج٢، طبعة دار المعرفة الجامعية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٧م.

- **فردريك كوبلستون:**

- تاريخ الفلسفة، من بنتام إلى رسل، المجلد الثامن، ترجمة: محمود سيد أحمد، طبعة المركز القومي للترجمة، القاهرة عدد ١٣٣٠، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

- **فؤاد كامل:**

- أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، طبعة بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

- **محمود حمدي زقزوق: (دكتور)**

- المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، طبعة دار المعارف القاهرة، د.ت.

- **محمود يعقوبي:**

- معجم الفلسفة" أهم المصطلحات وأشهر الأعلام"، طبعة الجزائر، الطبعة الثانية، د ت.

- **مراد وهبة:**

- المعجم الفلسفي، طبعة دار قباء الحديثة، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

- **موسي الموسوي: (دكتور)**

- من الكندي إلى ابن رشد، طبعة بيروت، سنة ١٩٨٢م.

- **هربرت شيندر:**

- تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٦٤م.

- **وليم كلي رايت:**

- تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، الطبعة الأولى، بيروت سنة ٢٠١٠ م.

▪ ١. وولف:

- فلسفة المحدثين والمعاصرين، ترجمة: أبو العلا عفيفي، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٩٣٦م.

▪ يوسف كرم: (دكتور)

تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، طبعة القاهرة، سنة ١٩٤٦م.

****

SOURCE AND REFERENCES

♣ Ahmed Al-Ansari: (Doctor)

- Philosophy of Religion for Josiah Royce, edition of the Egyptian Philosophical Society, Cairo, Dr. T.

♣ Arthur Pink:

- "The Attributes of God", translated by: Ihab Farouk, General Editor: Sami Fawzy, Christian Classics Series, first edition in 2014 AD.

♣ Asmaa Atallah Swiker Hassan: (Doctor)

- The ethical theory of Josiah Royce, PhD thesis, Mansoura University, unpublished, in the year 2020 AD.

♣ Imam Abdel-Fattah: (Dr.)

- "An Introduction to Metaphysics with a Translation of the First Five Books of Aristotle's Metaphysics", Edition of the Renaissance of Egypt, Cairo, first edition, October 2005 AD.

♣ Andre Lalande:

- La Land Philosophical Encyclopedia, Volume One, Arabization: Khalil Ahmad Khalil, Awidat Beirut Edition, second edition in 2001 AD.

♣ Augustine (354/430 AD)

- "The City of God", J.A. Translated into Arabic: Al-Khor, Bishop of Youhanna Al-Helou, Dar Al-Mashreq edition, second edition, Beirut, in the year 2006 AD.

♣ "Al-Jurjani" Al-Sayyid Al-Sharif Al-Jurjani Al-Hanafi (T.: 816 AH / 1413 AD)

Definitions, edition of Mustafa Al-Babili Al-Halabi Press, Cairo, in the year 1357 AH / 1938 AD.

♣ Jamil Hamdawi:

- "The Intuitive Philosophy of Henri Bergson", Dar Al-Reef Edition, Kingdom of Morocco, first edition in 2019 AD.

♣ Jamil Saliba: (Doctor)

- "The Philosophical Lexicon", Part 1 from (A) to (Z), Part 2 from (I) to (J), published by the Lebanese Book House, Beirut, Lebanon, in the year 1982 AD.

Josiah Royce: (1855 AD / 1916 AD)

- "The Religious Aspect of Philosophy", translated by: Ahmed Al-Ansari, The National Project for Translation, Cairo edition in 2009 AD.

- "The Spirit of Modern Philosophy", translated by: Ahmed Al-Ansari, Supreme Council of Culture, Cairo edition in 2003 AD.

The World and the Individual: The Four Historical Concepts of Existence, Volume One, Translated and Presented by: Ahmed Al-Ansari, The National Center for Translation, First Edition, Cairo, 2008 AD.

The World and the Individual: Nature, Man, and the Ethical System, Volume Two, Translated and Presented by: Ahmed Al-Ansari, The National Center for Translation, First Edition, Cairo, 2008 AD.

- "Principles of Logic", translated by: Ahmed Al-Ansari, The National Project for Translation, Cairo edition in 2002 AD.

George Zenati: (Dr.)

- Philosophy in its course, Moamen Quraish Library, Beirut edition, in 2013 AD.

♣ George Tarabishi:

- Lexicon of the Philosophers (Philosophers - Logicalists - Theologians - Sufis), Dar Al-Tali'ah edition, Beirut, third edition 2006 AD.

♣ Jonathan Ray and others:

The Concise Philosophical Encyclopedia, translated by: Fouad Kamel, Jalal Al-Ashry, Abd al-Rashid al-Sadiq Mahmoudi, reviewed and supervised by: Zaki Naguib Mahmoud, edition of

the National Center for Translation, Cairo, first edition in 2013 AD.

♣ Gerard Delo Dahl:

American Philosophy, translated by: George Katoura, Elham Al-Shaarani, edition of the Arab Organization for Translation, Beirut, first edition, in 2009 AD.

♣ Hassan Hanafi: (Doctor)

An Introduction to the Science of Occultation, Al-Dar Al-Fananiyyah for Publishing and Distribution, Cairo edition in 1991 AD.

♣ Hamid Lashahab:

- Neo-Kantian "An analytical and critical vision of its concept and schools", published by the Islamic Center for Strategic Studies, Beirut, first edition in the year 1440 AH-2019 AD.

Descartes "Rene": (1596-1650 AD)

Principles of Philosophy, translated and presented to him and commented on by: Othman Amin, edition of Dar Al Thaqafa for printing and publishing, Cairo in 1975 AD.

♣ Rawad Al-Husseini: (Dr.)

- Josiah Royce, Philosopher of Moral Insight, Al-Istijrab Magazine No. 4, Volume 2, 2016 AD, Islamic Center for Strategic Studies - Lebanon.

♣ - Rosenthal M - Yodin B:

- "The Philosophical Encyclopedia", a committee of Soviet scholars and academics, translated by: Samir Karam, review. Sadiq al-Azem, George Tarabishi, Dar al-Tali'ah, Beirut, 1st edition, 1984.

♣ Zaki Naguib Mahmoud:

- Life of Thought in the New World, Cairo edition, Hindawi Foundation, edition in 2020 AD.

♣ Ibn Sina: Abu Ali Al-Hussein Ibn Sina: (d. 428 AH / 1037 AD)

- Deliverance "On Logical, Natural and Divine Wisdom" investigation: Muhyi al-Din Sabri al-Kurdi, Dar al-Sa'ada Press, Egypt, second edition in 1357 AH / 1938 CE.

- "The Healing" (The Divinities), reviewed and presented to it by: Ibrahim Madkour, investigation: Father Kanawati and Saeed

Zayed, published by the Amiriya Cairo in the year 1380 A.H. - 1960 A.D.
Al-Sharif Totaw: (Doctor)
Lexicon of American Philosophers from the Pragmatists to the Postmodernists, supervised by Ali Abboud Al-Muhammadawi, presented by Muhammad Al-Sheikh, Moamen Quraish edition, Lebanon, first edition in 2015 AD.
♣ Safaa Abdul Salam Jaafar: (Doctor)
- A reading of the philosophical term, edition of the House of Scientific Culture, Alexandria, in 1989 AD
♣ Abdullah Abdul Hadi Al-Merhej: (Doctor)
- Metaphysics in Nietzsche's philosophy, Arab Journal of Human Sciences - University
Kuwait, Volume 28, Number 112, Edition 2010 AD.
♣ Abdul Rahman Badawi: (Doctor)
- The Philosophical Encyclopedia, edition of the Arab Foundation, Beirut, first edition in 1984 AD.
Medieval Philosophy, Kuwait Edition - and Dar Al-Qalam Beirut, third edition in 1979 AD.
- Immanuel Kent, Kuwait Edition, first edition in 1977 AD.
♣ Abdel Moneim El Hefny: (Doctor)
The Comprehensive Dictionary of Philosophy Terms, Madbouly Bookshop, Cairo edition, third edition in 2000 AD.
- Encyclopedia of Philosophy and Philosophers, Part 1 A: Z, Part 2 I: Z, Madbouly Bookshop, Cairo Edition, third edition in 2010 AD.
♣ Abdo Farrag:
Milestones of Philosophical Thought in the Middle Ages, edition of the Anglo-Egyptian Library, Cairo, first edition in 1969 AD.
♣ Azmy Islam: (Doctor)
Trends in Contemporary Philosophy, Kuwait Publications Agency Edition, first edition, Dr. T.
♣ Ali Abdel Muti Muhammad: (Doctor)
Signs of Modern Philosophy, Volume 2, Dar al-Ma'rifah University Edition, second edition, in 1997.
♣ Frederick Copleston:

History of Philosophy, From Bentham to Russell, Volume VIII, Translated by: Mahmoud Sayed Ahmed, Edition of the National Center for Translation, Cairo, No. 1330, First Edition in 2009 AD.

♣ Fouad Kamel:

Signs of Contemporary Philosophical Thought, Beirut Edition, Dar Al-Jeel, first edition 1993 AD.

♣ Mahmoud Hamdi Zaqzouq: (Doctor)

- The Philosophical Approach between Al-Ghazali and Descartes, Dar Al-Ma'arif Cairo edition, d.t.

♣ Mahmoud Yaqoubi:

- Dictionary of Philosophy, "The Most Important Terms and Most Famous Men", Algeria Edition, Second Edition, Dr. T.

♣ Murad Wahba:

- The Philosophical Lexicon, Dar Quba' Modern Edition, Cairo, 2007 AD.

♣ Musa Al-Musawi: (Doctor)

- From Al-Kindi to Ibn Rushd, Beirut edition, in 1982 AD.

♣ Herbert Schinder:

The History of American Philosophy, translated by Muhammad Fathi Al-Shinaiti, Al-Nahda Al-Masrya Bookshop, Cairo, 1964 AD.

♣ William Kelly Wright:

History of Modern Philosophy, translated by Mahmoud Sayed Ahmed, first edition, Beirut in 2010 AD.

♣ a. Wolf:

- Philosophy of Modernists and Contemporaries, translated by: Abu Al-Ela Afifi, edition of the Authoring, Translation and Publishing Committee, Cairo in 1936 AD.

♣ Youssef Karam: (Doctor)

History of European Philosophy in the Middle Ages, Cairo Edition, 1946 AD.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الملخص باللغة العربية.	٥٧٩
٢	ABSTRACT	٥٨٠
٣	المقدمة .	٥٨١
٤	المبحث الأول: التعريف بجوزايا رويس	٥٨٤
٥	المطلب الأول: نشأته ومؤلفاته	٥٨٤
٦	المطلب الثاني: اتجاهاته الفلسفية	٥٩٢
٧	المبحث الثاني: الميتافيزيقا عند جوزايا رويس	٦٠٣
٨	المطلب الأول: مفهوم الميتافيزيقا وموضوعها	٦٠٣
٩	المطلب الثاني: الميتافيزيقا عند جوزايا رويس وعلاقتها بالمنطق	٦١٥
١٠	المبحث الثالث: قضايا الميتافيزيقا عند جوزايا رويس	٦٢٤
١١	المطلب الأول: المطلق "الله" عند جوزايا رويس.	٦٢٤
١٢	المطلب الثاني: ميتافيزيقا المعرفة عند جوزايا رويس.	٦٥٠
١٣	المطلب الثالث: ميتافيزيقا الوجود عند جوزايا رويس.	٦٦٢
١٤	المطلب الرابع: ميتافيزيقا النفس عند جوزايا رويس.	٦٨٥
١٥	الخاتمة.	٦٩٩
١٦	ثبت المصادر والمراجع.	٧٠٣
١٧	فهرس الموضوعات.	٧١٤

تم بحمد الله تعالى